

البيان على المنتخب
في تفسير القرآن الكريم

الجزء التاسع والعشرون

إعـداد

الإدارة العامة للفتوى وبحوث الدعوة

إشراف ومراجعة وتقديم

أ.د/ محمد مختار جمعة

وزير الأوقاف



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾

(سورة الأعراف: ٥٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد بن عبد الله ، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه إلى يوم الدين.

وبعد:

فإن القرآن الكريم كتاب نور ، وكتاب هداية ، وكتاب رحمة ، من قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن تمسك به هُدِيَ إلى صراط مستقيم ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): **" تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ فَلَنْ تَضِلُّوا أَبَدًا كِتَابَ الله وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ"** (المستدرك للحاكم).

ولا شك أنه لا غنى لمسلم عن فهم معاني القرآن الكريم ، والوقوف على أسراره ومقاصده ، من خلال تفسيره على أيدي العلماء المتخصصين.

وقد نال كتاب (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) الذي يصدره المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بوزارة الأوقاف المصرية قبولًا واسعًا وانتشارًا كبيرًا ؛ حتى وصلت طبعاته إلى تسع وعشرين طبعة ، كما لقيت ترجماته التي بلغت إحدى عشرة ترجمة انتشارًا واسعًا من مختلف دول العالم ، وهو ما حدا بوزارة الأوقاف إلى اختياره منهجًا دراسيًّا للدارسين والدارسات بمراكز الثقافة الإسلامية ومراكز إعداد محفظي القرآن الكريم.

ومع تقدم مستوى الدارسين والدارسات ورغبتهم في التوسع في المنهج الدراسي لمادة التفسير ؛ بحيث يتضمن مزيدًا من بيان معاني المفردات ، وذكر بعض المقاصد ، وأسباب النزول ، كلفنا فريقًا من الباحثين بالإدارة العامة للفتوى وبحوث الدعوة بالتعاون مع نخبة من أساتذة التفسير بإضافة تلك المباحث إلى كتاب (المنتخب في تفسير القرآن الكريم)، مع تنقيح يسير عندما يتطلب المقام إعادة صياغة بعض عبارته.

نسأل الله العلي العظيم أن يتقبل منَّا جميعًا هذا العمل ، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم .

والله من وراء القصد ، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

أ.د/ محمد مختار جمعة مبروك
وزير الأوقاف
رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
وعضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف

سورة الملك

(مكية وآياتها ثلاثون آية)

سبب النزول:

قال ابن عباس (رضي الله عنهما) في قوله تعالى: (وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ): نزلت في المشركين، كانوا ينالون من رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فخبره جبريل (عليه السلام) بما قالوا فيه، فيقول بعضهم لبعض: أسروا قولكم لئلا يسمع إله محمد[1].

معاني المفردات:

(تَبَـارَك) تعالى وتعاظم عن صفات المخلوقين ، (الَّذِى بِيَدِهِ الْمُلْكُ) المراد بالملك: السلطان، فهو يعز ويذل[2]، (وَهُوَ عَلَى كُلِّ

---

١) أسباب نزول القرآن، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري ، الشافعي، تحقيق: كمال بسيوني زغلول ، ص٤٦٢، ط دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١١هـ.

٢) رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز ، الحافظ عز الدين عبد الرازق بن رزق الله الرسعني ، تحقيق: د/ عبد الملك بن دهيش، ٨/ ١٩٩، مكتبة الأسدي ، مكة ، ٢٠٠٨م.

شَيْءٍ) من المقدورات ، أو من الإنعام والانتقام ، (قَدِيرٌ) أي: قادر على الكمال[1].

(لِيَبْلُوَكُمْ) ليمتحنكم ويختبركم ، (أَحْسَنُ عَمَلًا) أي: أخلصه وأصوبه ، فالخالص: أن يكون لوجه الله ، والصواب: أن يكون على السنَّة، (الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا) بعضها فوق بعض، (مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ) ما ترى فيها من خلل[2]، (ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ) أي: كرر نظرك ودققه، هل ترى خللًا أو عيبًا، (يَنقَلِبْ) : يرجع ، (إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا) ذليلًا أو بعيدًا مما تريد[3] ،

---

1) تفسير النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، تحقيق/ مروان محمد الشعار، ٤/ ٢١٤، ط دار النفائس، بيروت، ٢٠٠٥م.

2) رموز الكنوز ، ٨/ ٢٠٠، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصرالدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي ، ٥/ ٣٦٢، ط دار الفكر، بيروت.

3) كلمات القرآن تفسير وبيان ، الشيخ/ حسنين محمد مخلوف ، ص ١١٦، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، للأستاذ الدكتور/ محمد سيد طنطاوي، ١٥/ ١١، ط دار نهضة مصر، القاهرة .

(وَهُوَ حَسِيرٌ) كليل من طول المعاودة ، وكثرة المراجعة[1].

(وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَآءَ الدُّنْيَا بِمَصَـابِيحَ) بكواكب مضيئة[2]، (إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا) أي: صوتًا مخيفًا، (وَهِيَ تَفُورُ) تغلي بهم غليان المرجل بما فيه ، وتتفرق غيظًا عليهم، وهو تمثيل لشدة اشتعالها بهم[3]، وقيل: تفور بهم كما يفور الماء الكثير بالحب القليل، ويجوز أن يكون هذا من فور الغضب، ويؤكده ما بعده[4].

(تَكَادُ تَمَيَّزُ) أي: تتقطع ، (مِنَ الْغَيْظِ) كناية عن شدة الغضب[5]، (سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا) سؤال توبيخ ، (فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ)

---

١) تفسير النسفي، ٤/ ٢١٥.

٢) تفسير البيضاوي، ٥/ ٣٦٢، كلمات القرآن تفسير وبيان ، ص ١١٦.

٣) تفسير النسفي، ٤/ ٢١٥.

٤) مفاتيح الغيب ، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، ٣٠/ ٥٨٦، ط دار إحياء التراث العربي ، بيروت، ١٤٢٠هـ.

٥) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري، ٤/ ١٣٣، ط دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٧هـ ، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق/ أحمد محمد الخراط ، ١٠/ ٣٧٨ ، ط دار القلم ، دمشق.

أي: حين لا ينفعهم ، والاعتراف إقرار عن معرفة ، (فَسُحْقًا لِأَصْحابِ السَّعِيرِ) أي: بُعدًا لهم[1].

(لَهُم مَّغْفِرَةٌ) للذنوب، (وَأَجْرٌ كَبِيرٌ) أي: الجنة[2]، (وَأَسِرُّوا) من الإسرار الذي هو ضد الجهر والإعلان، (الْأَرْضَ ذَلُولًا) أي: سهلة للمشي فيها، (فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا) جوانبها[3] .

(فَإِذَا هِيَ تَمُورُ) تضطرب وتتحرك، (حَاصِبًا) هي الريح القوية التي تقلع الحصباء، وهي صغار الحصى وكبارها[4].

(صَافَّاتٍ) أي : باسطات أجنحتهن في الجو عند طَيَرانهن ،

---

١) تفسير البيضاوي، ٥/ ٣٦٣.

٢) تفسير النسفي، ٤/ ٢١٦.

٣) تفسير الجلالين: جلال الدين محمد بن أحمد المحلي وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ص٧٥٥، ط دار الحديث ، القاهرة، كلمات القرآن تفسير وبيان، ص ١١٧.

٤) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي، ١/ ٤١٦، ط دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ.

(وَيَقْبِضْنَ) ويضْمُمْنها إذا ضربن بها جنوبهن، (مَا يُمْسِكُهُنَّ) عن الوقوع عند القبض والبسط[1].

(جُندٌ لكم) أي: أعْوان لكم ومَنَعَة ، (غُرُور) خديعة من الشيطان وجنده، (بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ) أي: تمادَوْا في استكبار وعناد، (وَنُفُورٍ) أي: شِرَاد وتباعد عن الحقّ، (مُكِبًّا على وجهِهِ) أي: سَاقطًا عليه لا يَأمن العثور، (سَويًّا) أي: مُسْتَويًا مُنتصِبًا سالمًا من العثور[2]، أو عدلًا مهديًّا[3].

(ذَرَأَكُمْ)أي: خلقكم ، (وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ) أي: الحشر، أو ما وعدوا به من الخسف والحاصب ، أو العذاب ، (إِنْ كُنْتُمْ

---

١) تفسير النسفي، ٤/ ٢١٧.

٢) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي النيسابوري ، تحقيق/ صفوان عدنان ، ١/ ١١١٨، ط دار القلم ، دمشق ، ١٤١٥هـ.

٣) الوجوه والنظائر ، أبو هلال العسكري ، تحقيق/ محمد عثمان ، ص٢٥١، ط١ الثقافة الدينية ، القاهرة ، ١٤٢٨هـ.

صَادِقِينَ) فيما تقولونه لنا[1].

(قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ) أي: بوقوعه، (وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ) مُخَوِّفٌ، (مُبِينٌ) أُبيِّن لكم[2]، (فَلَمَّا رَأَوْهُ) أي: العذاب الموعود ، (زُلْفَةً) قريبًا منهم، (سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا) أي: ساءت رؤية الوعد وجوههم بأن علتها الكآبة، (وَقِيلَ هَـذَا) القائلون هم الزبانية، وقيل: بل يقول بعضهم لبعض ذلك، (الَّذِي كُنتُم بِهِ تَدَّعُونَ) تفتعلون من الدعاء، أي: تسألون تعجيله، وتقولون: ائتنا بما تعدنا، أو هو من الدعوى، أي: كنتم بسببه تدعون أنكم لا تبعثون[3]، (ماؤُكُمْ غَوْرًا) أي:

---

١) تذكرة الأريب في تفسير الغريب، ابن الجوزي، ص٤٠٨، ط دار الكتب العلمية، بيروت.

٢) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للواحدي، ١/ ١١١٩، تفسير البيضاوي، ٥/ ٣٦٦.

٣) تفسير النسفي، ٤/٢١٧، قرأ يعقوب الحضرمي بإسكان الدال في قوله تعالى:(تَدْعُونَ) من الدعاء ، وقرأ السبعة بتشديد الدال: أي (تَدَّعُونَ) من الادعاء ، شرح طيبة النشر في القراءات العشر: محمد بن محمد بن محمد ، أبو القاسم، محب الدين النُّوَيْري، ٢/ ٥٩١، ط دار الكتب العلمية ، بيروت.

غائرًا ذاهبًا في الأرض، (فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ) ظاهر تناله الأيدي والدِّلاء[1].

في رحاب السورة الكريمة :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝٤﴾

تعالى وازدادت بركات مَن يملك – وحده – التصرف في جميع المخلوقات، وهو على كل شيء تام القدرة ، الذي خلق الموت والحياة لغاية أرادها، وهي أن يختبركم أيكم أصلح عملًا وأخلص نية، وهو الغالب الذي لا يعجزه شيء، العفُوُّ عن المقصِّرين، الذي أبدع سبع سموات متوافقة على سنَّة واحدة من الإحكام والإتقان،

---

١) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للواحدي، ١/ ١١١٩.

ما ترى في صنع الله الذي عمَّت رحمته خلقه أي تفاوت، فأعِد بصرك، هل تجد أي خلل؟ ثم أعد البصر مرة بعد مرة، يرجع إليك البصر مردودًا عن إصابة ما الْتمس من عيب، وهو متعب كليل[1].

﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ۝٥ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝٦ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ۝٧ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝٨ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ۝٩ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١٠ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١١﴾

ولقد زيَّنا السماء القريبة التي تراها العيون بكواكب مضيئة، وجعلناها مصادر شهب يُرْجَم بها الشياطين ، وأعددنا لهم

---

١) المنتخب في تفسير القرآن الكريم ص٨٤٠ ، لجنة من علماء الأزهر، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر، طبع مؤسسة الأهرام، ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م.

في الآخرة عذاب النار الموقدة ، وللذين لم يؤمنوا بربهم عذاب جهنم، وساءت هذه العاقبة ، فإذا طُرحوا فيها سمعوا لها صوتًا منكرًا ، وهى تغلي غليانًا شديدًا ، تكاد تتقطع وتتفرق من شدة الغضب عليهم ، كلما أُلْقِي فيها جماعة منهم سألهم الموكلون بها موبخين لهم: ألم يأتكم رسول يحذركم لقاء يومكم هذا؟ قالوا مُجيبين: قد جاءنا نذير فكذبناه ، وقلنا : ما نزَّل الله من شيء عليك، ولا على غيرك من الرسل ، ما أنتم أيها المدعون للرسالة إلا في انحراف بعيد عن الحق ، وقالوا : لو كنا نسمع سماع مَن يطلب الحق، أو نفكر فيما نُدعى إليه ؛ ما كنا في عداد أصحاب السعير، فاعترفوا بتكذيبهم وكفرهم ، فبعدًا لأصحاب السعير عن رحمة الله[1].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ١٢ وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١٣ أَلَا يَعۡلَمُ

١) المنتخب في تفسير القرآن الكريم ، ص ٨٤١.

مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾

إن الذين يخافون ربهم وهم لا يرونه لهم مغفرة لذنوبهم ، وثواب عظيم على حسناتهم ، وأخفوا قولكم أو أعلنوه فهما عند الله سواء؛ لأنه عظيم الإحاطة ، عليم بخفايا الصدور، أليس يعلم الخالق ـ لجميع الأشياء ـ خلقه ، وهو العالم بدقائق الأشياء وحقائقها؟[1].

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾﴾

هو الذي جعل لكم الأرض طيِّعة مُيَسَّرة ، فامشوا في جوانبها، وكلوا من رزقه الذي يخرجه لكم منها، وإليه وحده البعث للجزاء، أأمنتم من في السماء سلطانه ، وخزائن رحمته ، أن يقطع بكم الأرض، فيفاجئكم أنها تضطرب اضطرابًا شديدًا؟ بل أأمنتم مَنْ

---

١) المنتخب في تفسير القرآن الكريم، ص٨٤١ ، ٨٤٢.

في السماء سلطانه أن يرسل عليكم ريحًا ترجمكم بالحصباء؟ فستعلمون حينئذ هول وعيدي لكم ، ولقد كذَّب الذين من قبل قومك رسلهم ؛ فعلى أي حال من الشدة كان إنكاري عليهم بإهلاكهم وأخذهم؟[1].

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَٰنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَٰنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَل لَّجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾

هل أصابهم العمى؟! ولم ينظروا إلى الطير فوقهم باسطات أجنحتهن ، ويقْبِضْنَها حينًا بعد حين ، ما يمسكهن أن يقعْن إلا الرحمن؟! إنه بكل شيء عليم خبير ، يعطيه ما يصلح عليه أمره ، بل من هذا الذي هو قوة لكم يدفع عنكم العذاب سوى الرحمن؟ ما الكافرون إلا في غرور بما يتوهمون، بل مَن هذا الذي يرزقكم بما

١) المنتخب في تفسير القرآن الكريم، ص ٨٤٢.

تكون به حياتكم وسعادتكم إنْ حَبَس الله رزقه عنكم؟ بل تمادى الكافرون في استكبارهم وشرودهم عن الحق، فهل تنعكس الحال، فيكون مَنْ يمشي منكبًّا على وجهه أهدى في سيره وقصده، أم من يمشي مستويًّا على طريق لا اعوجاج فيه؟[1].

﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾﴾

قل: هو الذي أوجدكم من العدم، وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة التي هي أسباب عملكم وسعادتكم، قليلًا ما تؤدون شكر هذه النعم لواهبها، قل: هو الذي بثكم في الأرض، وإليه وحده تجمعون لحسابكم وجزائكم، ويقول المنكرون للبعث: متى يتحقق هذا الوعد بالنشور؟ نبئونا بزمانه إن كنتم صادقين؟ قل يا محمد:

---

١) المنتخب في تفسير القرآن الكريم، ص ٨٤٢ ، ٨٤٣.

هذا علم اختص الله سبحانه وتعالى به، وإنما أنا نذير بيِّن الإنذار، فلمَّا عاينوا الموعود به قريبًا منهم علت وجوه الكافرين الكآبة والذلة، وقيل: توبيخًا وإيلامًا لهم: هذا الذي كنتم تطلبون تعجيله[1].

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾﴾

قل: أخبروني إن أماتني الله ومن معي من المؤمنين كما تتمنون ، أو رحمنا فأخر آجالنا وعافانا من عذابه ، فقد أنجانا في الحالين ، فمَن يمنع الكافرين من عذاب أليم استحقوه بكفرهم وغرورهم بآلهتهم؟

قل: هو الرحمن صدَّقنا به ولم تصدِّقوا، وعليه وحده اعتمدنا، واعتمدتم على غيره ، فستعلمون إذا نزل العذاب أي الفريقين في انحراف بعيد عن الحق ، قل: أخبروني إن أصبح ماؤكم ذاهبًا

١) المنتخب في تفسير القرآن الكريم، ص٨٤٣.

في الأرض لا تصلون إليه بأي سبب، فمَن غير الله يأتيكم بماء طاهر متدفق يصل إليه كل من أراده؟![1].

من مقاصد السورة الكريمة:

١- التأكيد على أنه سبحانه وتعالى أعطى الإنسان الحياة التي يقدر بها على العمل، وسلط عليه الموت الذي هو داعيه إلى اختيار العمل الحسن على القبيح؛ لأن وراءه البعث والجزاء الذي لا بد منه[2].

٢-بيان ضرورة الخضوع لله (عز وجل) ؛ لاتصافه بكمال الملك ، الدال عليه تمام القدرة[3].

٣-التحذير من كيد الشياطين، وأن في اتباع الرسول (صلى الله عليه وسلم) النجاة ، وفي تكذيبه الخسران.

---

١) المنتخب في تفسير القرآن الكريم، ص٨٤٣.

٢) راجع: تفسير الزمخشري، ٤/ ٥٧٥.

٣) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور ، لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، ٣/ ١٠٣، مكتبة المعارف ، الرياض، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧م.

٤- التذكير بأحوال الكافرين وأحوال المؤمنين يوم القيامة، ووجوب التأمل والتدبر في ملكوت السموات والأرض[1].

٥- التنبيه بما يدبره المعاندون للرسول (صلى الله عليه وسلم) ظاهرًا وخفية ، بأن علم الله تعالى محيط بمخلوقاته[2].

٦- بيان أنه تعالى عليمٌ بالقلوب وأحوالها ، فلا يخفى عليه سر من أسرارها[3].

٧- التوجيه إلى أن نظام العالم لا عوج فيه ولا اختلاف ، وفي هذا تذكيرٌ بقدرة الله تعالى في خلق العالم ودقة نظامه ، وأن الله تعالى قادر على تغيير نظام الكون[4].

---

١) التفسير الوسيط للأستاذ الدكتور/ سيد طنطاوي، ١٥/ ٦.

٢) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، ٢٩/ ٧، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ،١٤٢٠هـ.

٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي ، تحقيق/ علي عبد الباري عطية ، ١٥/ ١٤، ط دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.

٤) تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، ٢٩/ ٢٥، ط١ الحلبي، ١٣٦٥هـ.

٨-ضرب الله المثل في لطفه (سبحانه وتعالى) بالناس بلطفه بالطير في طيرانها ، فهو القادر على إمساكهن ، والإحاطة بهن وبكل شيء[1].

*   *   *

١) التحرير والتنوير، ٢٩/ ٧ .

سورة القلم

(مكية وآياتها اثنتان وخمسون آية)

سبب النزول :

عن ابن جريج[1] قال: كانوا يقولون للنبي (صلى الله عليه وسلم): إنه مجنون ، فنزلت: {مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ}[2].

وعن السيدة عائشة (رضي الله عنها) قالت: مَا كَانَ أَحْسَنَ خُلُقًا مِن رَسُولِ الله (صلى الله عليه وسلم)، مَا دَعَاهُ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ وَلَا مِنْ أَهْلِهِ إِلَّا قَالَ: لَبَّيْكَ ، وَلِذَلِكَ أَنْزَلَ الله (عز وجل) : {وَإِنَّك لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ}[3]، وعن السدي في قوله تعالى : {وَلَا تُطِعْ

---

١) هو: عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، الإمام الحافظ، توفي سنة خمسين ومائة. سير أعلام النبلاء ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، ٦/ ٣٢٥، ط الرسالة، ١٩٨٥م.

٢) لباب النقول في أسباب النزول، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ص٢٠٠، تحقيق: أحمد عبد الشافي ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت.

٣) دلائل النبوة ، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، ط دار النفائس ، بيروت ، حديث رقم: ١٩، أسباب النزول للواحدي، ص٤٤٣ .

كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ}، قال: نزلت في الأخنس بن شريق[1]، وقيل: نزلت في الأسود بن عبد يغوث[2].

وعن ابن جريج أن أبا جهل قال يوم بدر : خذوهم أخذًا ،

---

١) هو: الأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب بن علاج بن أبي سلمة بن عبد العزى ابن غيرة بن عوف بن ثقيف الثقفي، حليف بني زهرة، اسمه أبي، وإنما لقب الأخنس؛ لأنه رجع ببني زهرة من بدر لما جاءهم الخبر أن أبا سفيان نجا بالعير، فقيل: خنس الأخنس ببني زهرة، ثم أسلم الأخنس فكان من المؤلفة، وشهد حنينًا، ومات في أول خلافة عمر (رضي الله عنه). الإصابة في تمييز الصحابة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، ١/ ١٩٢، ط دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.

٢) هو: الأسود بن عبد يغوث كان من المستهزئين، وكان إذا رأى المسلمين، قال لأصحابه: قد جاءكم ملوك الأرض الذين يرثون ملك كسرى وقيصر، ويقول للنبي(صلى الله عليه وسلم): أما كُلِّمت اليوم من السماء، يا محمد؟ وما أشبه هذا القول، فخرج من عند أهله، فأصابته السموم، فاسود وجهه حتى صار حبشيًّا، فأتى أهله، فلم يعرفوه وأغلقوا دونه الباب ، فرجع متلددًا حتى مات عطشًا. جمل من أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري، تحقيق/ سهيل زكار ورياض الزركلي ، ١/ ١٣١، ١٣٢، ط دار الفكر، بيروت ، ١٤١٧هـ.

فاربطوهم في الحبال ، ولا تقتلوا منهم أحدًا، فنزلت:{إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَاأَصْحَابَ الْجَنَّةِ} في قدرتهم عليهم كما اقتدر أصحاب الجنة على الجنة(1).

وقوله (عز وجل) : {وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ} قيل: نزلت حين أراد الكفار أن يعينوا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فيصيبوه بالعين ، فنظر إليه قوم من قريش ، فقالوا: ما رأينا مثله، ولا مثل حججه.

وكانت العين في بني أسد حتى إن كانت الناقة السمينة والبقرة السمينة تمر بأحدهم ؛ فيعاينها ، ثم يقول : يا جارية خذي المكتل والدرهم فأتينا بلحم من لحم هذه ، فما تبرح حتى تقع بالموت فتنحر.

وقيل: كان رجل من العرب يمكث لا يأكل يومين أو ثلاثة،

---

١) تفسير القرآن العظيم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الرازي، ابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، ١٠/ ٣٣٦٤، ٣٣٦٥، مكتبة نزار، السعودية، ١٤١٩هـ، لباب النقول، ص٢٠١.

ثم يرفع جانب خبائه[1]، فتمر به النعم، فيقول: ما رعي اليوم إبل ولا غنم أحسن من هذه ، فما تذهب إلا قريبًا حتى يسقط منها طائفة وعدة ، فسأل الكفار هذا الرجل أن يصيب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بالعين ، ويفعل به مثل ذلك ، فعصم الله ـ تعالى ـ نبيه (صلى الله عليه وسلم)، وأنزل هذه الآية[2].

معاني المفردات:

(نٓ) حرف من الحروف المقطعة وهي من الحروف التي استأثر الله ـ تعالى ـ بعلمه ، وقيل: لوح من نور ، وقيل: الدواة [3]،

---

١) الخِباءُ، ككِساءٍ، يكونُ من وَبَرٍ أو صُوفٍ أو شَعَرٍ. القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي،١/ ١٢٧٨، ط مؤسسة الرسالة ، لبنان ، ١٤٢٦هـ.

٢) أسباب النزول للواحدي، ص٤٦٣، ٤٦٤.

٣) تفسير القرطبي، ١٨/ ٢٢٣، وذكر القرطبي أثرًا في ذلك، وكذا أورده صاحب نوادر الأصول بلفظ: قال نبينا (صلى الله عليه وسلم) :" إِن أول شَيْء خلق الله تَعَالَى الْقَلَم ثمَّ خلق النُّون، وَهِي الدواة، ثمَّ قَالَ لَهُ: اكتب، قَالَ: وَمَا أكتب؟ قَالَ: مَا كَانَ وَمَا هُوَ كَائِن إِلَى يَوْم الْقِيَامَة؛ من عمل، أَو أثر، أَو رزق ، أَو أجل=

(وَالْقَلَمِ) أي: ما كتب به اللوح ، أو قلم الملائكة ، أو الذي يكتب به الناس ، أقسم به لما فيه من المنافع والفوائد التي لا يحيط بها الوصف ، (وَمَا يَسْطُرُونَ) أي : يكتبــون سطورًا ، فإن أراد الملائكـة فهي كتب الأعمال وما يؤمرون به ، وإن أراد بني آدم فهي الكتب المنزلة ، والعلوم ومـا جرى مجراها [1].

(مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ) أي : إِنَّك لا تكون مجنونًا مبتعدًا عن الحـق وقـد أنعم الله عليك بالنُّبــوَّة [2] ، (غَيْرَ مَمْنُونٍ) غير

= فَكتب مَا يكون ، وَمَا هُوَ كَائِن إِلَى يَوْم الْقِيَامَة ، وَذَلِكَ قَوْله تَعَالَى:{ن والقلم}، ثمَّ ختم على فِي الْقَلَم فَلم ينْطق ، وَلَا ينْطق إِلَى يَوْم الْقِيَامَة. نوادر الأصول في أحاديث الرسول (صلى الله عليه وسلم)، محمد بن علي بن الحسن بن بشر، الحكيم الترمذي ، تحقيق/ عبد الرحمن عميرة ، حديث رقم: ١٠٣٤، ط دار الجيل ، بيروت .

١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي ، تحقيق/ عبد السلام عبد الشافي ، ٥/ ٣٤٥، ٣٤٦ ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٢هـ ، تفسيرالنسفي، ٤/ ٢١٩.

٢) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للواحدي ، ١/ ١١٢٠.

مقطوع[1]، (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) أي: أنت على الخُلُقِ الذي أمرك الله ـ تعالى ـ به في القرآن[2].

(فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ) أي: عن قريب ترى ويرون، وهذا وعد له، ووعيد لهم[3]، (بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ) أي: المجنون، والجنون فتنة ؛ إذ هو محنة وعدول عن سبيل أهل السلامة في العقول[4]، (ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ) وهم من اختاروا طريق الضلال والخسران، (وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) بالفائزين[5].

(فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ) يعني مشركي مكة فإنهم كانوا يدعونه إلى دين آبائه فنهاه أن يطيعهم[6]، (وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ) تلاينهم بأن تدع

---

1) تفسير البيضاوي، ٥/ ٣٦٩.

2) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للواحدي، ١/ ١١٢١، كلمات القرآن تفسيروبيان، ص١١٧.

3) تفسير النسفي، ٤/ ٢١٩.

4) تفسير الرازي، ٦/ ٣٩١.

5) تفسير البيضاوي، ٥/ ٣٦٩.

6) تفسير النسفي، ٤/ ٢١٩، كلمات القرآن تفسير وبيان، ص١١٧.

نهيهم عن الشرك ، أو توافقهم فيه أحيانا ، (فَيُدْهِنُونَ): فيَلِينُونَ لَك[1]، (وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ) كثير الحلف في الحق والباطل، (مَهِينٍ) ضعيف،(هَمَّازٍ) عيَّاب طعَّان مغتاب، (مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ) نقَّال للحديث من قوم إلى قوم على وجه السعاية والإفساد بينهم، (مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ) بخيل، والخير: المال ، أو مناع أهله من الخير[2]، وهو الإسلام[3]، وقيل: (مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ) للزَّكاة المفروضة وكلِّ حقٍّ في ماله[4].

(مُعْتَدٍ) مجاوز في الظلم حده ، (أَثِيمٍ) كثير الآثام ، (عُتُلٍّ) غليظ

---

١) تفسير البيضاوي، ٥/ ٣٦٩، تفسير الجلالين، ١/ ٧٥٨ .

٢) والمراد: الوليد بن المغيرة عند جمهور المفسرين، وكان يقول لبنيه العشرة: من أسلم منكم منعته رفدي، وكان يمنع أهله وَوَلده ولحمته من الإسلام. تفسير الطبري ، ٢٣/ ٥٣٥ ، تفسير النسفي، ٤/ ٢١٩ ، معاني القرآن وإعرابه ، إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج، تحقيق/ عبد الجليل عبده شلب، ٥/ ٢٠٥، عالم الكتب، بيروت.

٣) تفسير النسفي، ٤/ ٢١٩.

٤) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للواحدي، ٢٥/ ١٠٢٤.

جاف ، (بَعْدَ ذَلِكَ) بعد ما عد له من المثالب وصفه بأنه (زَنِيمٍ) والزنيم الذي يُعرف بالشر، وقيل: هو الظلوم ، والمريب الذي يُعرف بالشر، أو الدَّعيّ في قومه[1].

(سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ) قال بعضهم : معناه : سنخطمه بالسيف ، فنجعل ذلك علامة باقية ، وسمة ثابتة فيه ما عاش[2]. (إنا بَلَوْنَاهُمْ) امتحنا أهل مكَّة بالقحط والجوع ، (كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ) كما امتحنَّا أصحاب البستان بإحراقه ، وذهاب

١) تفسير الطبري، ٢٣/ ١٦٥، قيل:"(زنيم) أي: دعي وكان الوليد دعيًا في قريش ليس منهم، ادعاه أبوه بعد ثماني عشرة سنة من مولده، ولم يعرف حتى نزلت هذه الآية". تفسير النسفي، ٤/ ٢١٩.

٢) تفسير الطبري، ٢٣ / ٥٤١، وقيل: يقاتل يوم بدر، فيخطم بالسيف في القتال، وقال آخرون: (سَنَسِمُهُ) سمة أهل النار، يعني: نسود وجهه يوم القيامة، فعبر عن الوجه بالخرطوم على صيغة المبالغة، ومال البعض إلى أنه لا مانع من اجتماع الجميع عليه في الدنيا والآخرة. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي ، ٨/ ١٩٥، دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٤١٩هـ.

قـوتهـم منهـا[1].

(إِذْ أَقْسَمُوا) حلفوا ، (لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ) ليقطعنَّ ثمرها باللَّيل؛ كي لا يشعر المساكين فيأتوهم ، (فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ) أنزل الله عليها نارًا أحرقتها ، (فَأَصْبَحَتْ

---

١) قصة أصحاب الجنة ذكرها جمهور المفسرين، وكانت بأرض اليمن بالقرب من صنعاء، وكانت لرجل يؤدي حق الله تعالى منها، فلما مات صارت إلى ولده، فمنعوا الناس خيرها، وبخلوا بحق الله فيها، فأهلكها الله من حيث لم يمكنهم دفع ما حل بها، وكان أصحاب هذه الجنة بعد رفع عيسى (عليه السلام) بيسير، وكانوا بخلاء، فكانوا يجنون التمر ليلًا من أجل المساكين، وكانوا أرادوا حصاد زرعها، وقالوا: لا يدخلها اليوم عليكم مسكين، فغدوا عليها؛ فإذا هي قد اقتلعت من أصلها فأصبحت كالصريم، أي: كالليل المظلم حالك السواد، وكان الطائف الذي طاف عليها جبريل(عليه السلام) فاقتعلها، فيقال: إنه طاف بها حول البيت ثم وضعها حيث مدينة الطائف اليوم، ولذلك سميت الطائف، وليس في أرض الحجاز بلدة فيها الشجر والأعناب والماء غيرها، وقال بعض العلماء: على من حصد زرعًا أو جنى ثمرة أن يواسي منها من حضره، وذلك معنى قوله تعالى: **{وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ}** [الأنعام: ١٤١]. تفسير القرطبي، ١٨/ ٢٣٩.

كَالصَّرِيمِ) كاللَّيل المُظلم سوداء، (فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ) نادى بعضهم بعضًا لَمَّا أصبحوا ليخرجوا إلى الصِّرام[1]، (صَارِمِينَ) قاطعين الثَّمر، (وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ) فذهبوا إليها وهم يسارون الكلام بينهم، (حَرْدٍ قَادِرِينَ) عن قصدٍ وجدٍّ ، (فَلَمَّا رَأَوْهَا) أي: الجنة سوادًا محترقةً، (قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ) مُخطئون طريقنا، وليست هذه جنتنا، ثم علموا أنَّها عقوبةٌ من الله ـ تعالى ـ فقالوا: (بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ) حُرمنا ثمر جنَّتنا بمنعنا المساكين ، (قَالَ أَوْسَطُهُمْ) أعدلهم وأفضلهم ، (أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ) أي : هلاَّ تستثنون ، ومعنى التَّسبيح : التعظيم لله ، وكلُّ تعظيمٍ لله فهو تسبيحٌ له ، (يَتَلَاوَمُونَ) يلوم بعضهم بعضًا[2] بما فعلوا من الهرب من

---

١) الصِّرام أي: القطع، والمراد: قطع الثمر. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للواحدي، ١/ ١١٢٢.

٢) شبه الله تعالى قريشًا بهم ، في أنه امتحنهم بمحمد (صلى الله عليه وسلم) ، كما امتحن أولئك بفعل أبيهم ، وبأوامر شرعهم ، فكما حل بأولئك العقاب في جنتهم ، كذلك يحل بهؤلاء في جميع دنياهم، وفي حياتهم. المحرر الوجيز، ٥/ ٣٥٠.

المساكين ومنع حقهم[1].

(كَذَلِكَ الْعَذَابُ) مثل ذلك العذاب- الذي بلونا به أهل مكة وأصحاب الجنة- العذاب في الدنيا، (وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ) أعظم منه[2].

(جَنَّاتِ النَّعِيمِ) جنات ليس فيها إلا التنعم الخالص، بخلاف جنات الدنيا[3]، (أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ) من السماء، (فِيهِ تَدْرُسُونَ): تقرأون، (لَمَا تَخَيَّرُونَ) أي: ما تختارونه وتشتهونه، (أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ) عهود مؤكدة بالأيمان، (عَلَيْنَا بَالِغَةٌ) أي: ثابتة لكم علينا إلى يوم القيامة[4]، (سَلْهُمْ أَيُّهُمْ بِذَلِكَ) الذين يقولون: من أنَّ لهم في الآخرة

١) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للواحدي،١/ ١١٢١.

٢) تفسير البيضاوي ، ٥/ ٣٧٣، كلمات القرآن تفسيروبيان، ص١١٧.

٣) تفسير النسفي، ٤/ ٢٢٠، وقوله تعالى: (أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ) فيه تعجب من حكمهم واستبعاد له ، وإشعار بأنه صادر من اختلال فكر واعوجاج رأي. تفسير البيضاوي ، ٥/ ٣٧٣، التحرير والتنوير، ٢٩/ ٩٤.

٤) تفسير البيضاوي ، ٥ / ٣٧٤، التحرير والتنوير ، ٢٩/ ٩٤.

حظًّا، (زَعِيمٌ) كفيلٌ لهم[1].

(أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ) أي: ناس يشاركونهم في هذا القول، (فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ) أي: في دعواهم[2]، (يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ) أي: يُكشف عن شدَّة الأمر[3]، وهي أول ساعة من يوم القيامة، وهي أفظعها، وكشف الساق: عبارة عن شدة الهول، وعظم القدرة التي هي لله تعالى وحده[4]، (خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ) ذليلةً لا يرفعونها، (تَرْهَقُهُمْ) تغشاهم[5]، (فَذَرْنِي) أي: دَعْني وخَلّني، تهديد شديد، (سَنَسْتَدْرِجُهُمْ) أي: سَنُدنيهم من العذاب دَرَجَة فدَرجة حتى

---

١) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للواحدي، ١/ ١١٢٤.

٢) تفسير النسفي، ٤/ ٢٢١.

٣) تفسير عبد الرزاق، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني، تحقيق/ محمود محمد عبده، ٣ / ٣٣٥، ط دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ.

٤) المحرر الوجيز، ٥/ ٣٥٢.

٥) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للواحدي، ١/ ١١٢٤.

نوقِعَهم فيه ، والاستدراج: هو الأخذ في حال الغفلة[1]، (وأَمْلِي لهُمْ) أي: أمْهِلهمْ وأطيل لهم المدة، والملاوة: المدة من الدهر، وأملى الله له أي: أطال له، وقيل: وأملي لهم، أي: لا أعاجلهم بالموت، والمعنى واحد، (إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ) أي: إن عذابي لقوي شديد فلا يفوتني أحد[2].

(مُثْقَلُونَ) أي: مُكلفون حِمْلًا ثقيـلًا، (كَصَـاحِـبِ الحُـوتِ) أي: يـونس (عليه السّلام)، (مَكْظُومٌ) أي: مملوءٌ غَيْظًا في قلبه على قومه[3].

(لَنُبِذَ) من بطن الحوت ، (بِالْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ) مُعاتَب بزلَّته؛ لكنه رُحِم، فَنُبِذ غير مذموم ، (فَاجْتَبَـاهُ رَبُّهُ) اصطفاه[4].

---

١) تفسير الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، تحقيق/ مجدي باسلوم، ٥/ ١٠١، ط دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٦هـ.

٢) تفسير القرطبي، ١٨/ ٢٥٢.

٣) كلمات القرآن تفسيروبيان، ص ١١٨.

٤) تفسير النسفي، ٤/ ٢٢٢.

(لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ) أي : يزلقونه ، فيذهبون قدمه من مكانها ويسقطونه ، وقيل: يأخذونك بالعين[1]، (لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ) أي: القرآن الكريم[2].

في رحاب السورة الكريمة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝٥ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ۝٦ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ۝٧﴾

(نٓ) حرف من الحروف الهجائية التي بُدئت بعض السور بها تحديًا للمكذبين ، وتنبيهًا للمصدقين ، أقسم بالقلم الذي يكتب به الملائكة وغيرهم، وبما يكتبونه من الخير والمنافع، ما أنت - وقد أنعم الله عليك بالنبوة - بضعيف العقل، ولا سفيه الرأي، وإن لك على ما تلقاه في تبليغ الرسالة لثوابًا عظيمًا غير مقطوع،

---

١) المحرر الوجيز، ٥/ ٣٥٥.

٢) تفسير ابن كثير ٨/ ٢٠٧.

وإنك لمستمسك بمحاسن الصفات ومحاسن الأفعال التي فطرك الله عليها ، فعن قريب تبصر – يا محمد– ويبصر الكافرون بأيكم الجنون ، إن ربك هـو أعلم بمن حاد عن سبيله ، وهو أعلم بالعقلاء المهتدين إليه[1].

﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾﴾

فلا تترك ما أنت عليه من مخالفة للمكذبين، تمنوا لو تلين لهم بعض الشيء، فهم يلينون لك طمعًا في تجاوبك معهم، ولا تترك ما أنت عليه من مخالفتك كُلّ كَثِيرِ الحلف ، حقير ، عيّاب ، مغتاب، نقّال للحديث بين الناس على وجه الإفساد بينهم ، شديد الصد عن الخير، معتد ، كثير الآثام ، غليظ القلب ، جاف الطبع ، لئيم معروف الشر فوق ما له من تلك الصفات الذميمة ؛ لأنه كان

---

١) المنتخب في تفسير القرآن الكريم، ص٨٤٤.

صاحب مال وبنين ، كذَّبَ بآياتنا وأعرض عنها ، إذا يُتلى عليه القرآن قال: هذا قصص الأولين وخرافاتهم ، سنجعل على أنفه علامة لازمة ؛ ليكون مفتضحًا بها أمام الناس[1].

﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾

إنا اختبرنا أهل مكة بالإنعام عليهم فكفروا ، كما اختبرنا أصحاب الجنة حين حلفوا ليقطعن ثمار جنتهم مبكرين ، ولا

---

١) المنتخب في تفسير القرآن الكريم، ص٨٤٤ ، ٨٤٥ .

يذكرون الله فيعلقون الأمر بمشيئته ، فنزل بها بلاء شديد من ربك ليلًا، وهم نائمون، فأصبحت كالليل المظلم مما أصابها، فنادى بعضهم بعضًا عند الصباح أن بكِّروا مقبلين على حرثكم؛ إن كنتم مصرين على قطع الثمار، فاندفعوا وهم يتهامسون متواصين: ألا يمكنن أحد منكم اليوم مسكينًا من دخولها عليكم، وساروا أول النهار إلى جنتهم على قصدهم السيئ الذين توهموا أنهم قادرون على تنفيذه، فلما رأوها سوادًا محترقة قالوا مضطربين: إنا لضالون، فما هذه بجنتنا، ثم بعد ذلك قالوا: بل هي جنتنا، ونحن محرومون، قال أعدلهم وأخيرهم، لائمًا لهم: ألم أقل لكم حين تواصيتم بحرمان المساكين: هلا تذكرون الله فتعدلوا عن نيتكم؟ قالوا بعد أن ثابوا إلى رشدهم: ننزه الله أن يكون قد ظلمنا بما أصابنا، إنا كنا ظالمين أنفسنا لسوء قصدنا ، فأقبل بعضهم على بعض يلوم كل منهم الآخر، قالوا: يا هلاكنا ، إنا كنا مسرفين في ظلمنا ، عسى ربنا أن يعوِّضنا خيرًا من جنتنا ، إنا إلى ربنا وحده راغبون في عفوه وتعويضه ، مثل ذلك الذي أصاب الجنة يكون عذابي الذي أُنزله

في الدنيا بمَن يستحقه ، ولعـذاب الآخـرة أكبر لـو كان الناس يعلمون ذلك[1].

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾﴾

إن للمتقين عند ربهم جنات النعيم الخالص، أفنجعل المسلمين كالكافرين؟ ماذا أصابكم؟ كيف تحكمون؟ بل ألكم كتاب من الله فيه تقرأون؟ إن لكم فيه للذي تتخيرونه ؛ بل ألكم عهود علينا

---

١) المنتخب في تفسير القرآن الكريم، ص٨٤٥، ٨٤٦.

مؤكدة بالأَيْمان باقية إلى يوم القيامة؟ إن لكم للذي تحكمون به، سل المشركين يا محمد: أيهم بذلك الحكم كفيل؟ بل ألهم مَن يشاركهم ويذهب مذهبهم في هذا القول؟ فليأتوا بشركائهم إن كانوا صادقين في دعواهم ، يوم يشتد الأمر ويصعب ، ويُدْعَى الكفار إلى السجود ، تعجيزًا وتوبيخًا ، فلا يستطيعون ، منكسرة أبصارهم، تغشاهم ذلة مرهقة ، وقد كانوا يُدعوْن في الدنيا إلى السجود وهم قادرون فلا يسجدون، فدعني - يا محمد- ومن يكذِّب بهذا القرآن، سندنيهم من العذاب درجة درجة من الجهة التي لا يعلمون أن العذاب يأتي منها ، وأمهلهم بتأخير العذاب ، إن تدبيري قـوي لا يفلت منه أحد ؛ بل أتسألهم أجرًا على تبليـغ الرسالة ، فهم من غرامة كلفتهم إيَّاها مُثقلون؟ بل أعندهم علم الغيب فهم يكتبون عنه ما يحكمون به؟[1].

﴿ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ ﴿٤٨﴾ لَّوۡلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعۡمَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ مَذۡمُومٞ

١) المنتخب في تفسير القرآن الكريم، ص٨٤٦.

﴿٤٩﴾ فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾﴾

فاصبر لإمهالهم وإيذائهم لك ، ولا تكن كيونس (عليه السلام) صاحب الحوت ، في العجلة والغضب على قومه ، حين نادى ربه وهو مملوء غيظًا وغضبًا طالبًا تعجيل عذابهم ، ولولا أن تداركته نعمة ربه بقبول توبته؛ لُطرح من بطن الحوت بالفضاء ، وهو مُعَاقب بزلته ، فاصطفاه ربه بقبول توبته ، فجعله من الصالحين، وإن يكاد الكافرون ليزيلونك عن مكانك ، بنظرهم إليك ، عداوةً وبُغْضًا حين سمعوا القرآن ، ويقولون: إنك لمجنون ، وما القرآن إلا عظة وحكمة للعالمين[1].

من مقاصد السورة الكريمة :

١ - بيان أن القسم بالقلم وما يسطرون تعظيم لمنافعه ، ولما فيه من الدلالة على الحكمة والمنافع والفوائد التي لا يحيط بها صف

---

١) المنتخب في تفسير القرآن الكريم، ص٨٤٧.

الواصفين ، وما يكتب من كتب[1].

٢-ذكرت السورة الكريمة جانبًا من أفضل أنواع الثناء على نبينا (صلى الله عليه وسلم): ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[2].

٣- تذكير الرسول (صلى الله عليه وسلم) بأنه سيرى قضاء الله تعالى في أعدائه[3].

٤-التحذير من منع حقوق الآخرين من الفقراء والمحتاجين ، وأن في نهاية قصة أصحاب الجنة لعبرة لمن أراد أن يتذكر عاقبة الفعل الطيب وغيره.

٥- الإشارة إلى أنَّ من أخلّ بالعبادات وأهمل في بعض الفرائض؛ انقلب حاله ، وردّ من الوصال إلى البعاد، ومن الاقتراب إلى الاغتراب ، فصارت صفوته قسوة ، وقلّما يصل إلى حاله[4].

---

١) تفسير الزمخشري، ٤/ ٥٨٤.

٢) التفسير الوسيط للدكتور/ سيد طنطاوي، ١٥/ ٣٤.

٣) المصدر السابق ، ١٥/ ٣٤.

٤) لطائف الإشارات ، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري ، تحقيق/ إبراهيم البسيوني ، ٣/ ٦٢٠، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر.

٦- بيان أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) مأمور بالصبر في تبليغ الدعوة، وأن لا يضجر في ذلك[1].

* * *

١) التحرير والتنوير ٢٩/ ٧.

سورة الحاقة

(مكية وآياتها اثنتان وخمسون آية)

معاني المفردات:

(الْـحَاقَّـة) القيامة التي يحق فيها ما أنكر من البعث والحساب والجزاء ، أو المظهرة لذلك ، (مَا الْحَاقَّة) تعظيم لشأنها، (وَمَا أَدْرَاك) وما أعلمك[1].

(بِالْقَارِعَةِ) أي: بالحاقة، فوضعت القارعة موضعها؛ لأنها من أسماء القيامة ، وسميت بها؛ لأنها تقرع الناس بالأفزاع والأهوال، (فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ) بالواقعة المجاوزة للحد في الشدة، (بِرِيحٍ صَرْصَرٍ) شديدة الصوت من الصرة ، (عَاتِيَةٍ) شديدة العصف، (سَخَّرَهَا) سلطها ، (حُسُومًا) متتابعة لا تنقطع ، (فَتَرَى) أيها المخاطب ، (الْقَوْمَ فِيهَا) في الليالي والأيام ، (أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ) أصول نَخْلٍ ساقطة، أو بالية ، (من بَاقِيَةٍ) من نفس باقية[2].

---

١) تفسير الجلالين، ص٧٦١.

٢) تفسير النسفي، ٤/ ٢٢٣.

(وَالْمُؤْتَفِكَاتُ) قُرَى قوم لوط (عليه السلام)، (رَابِيَةً) أي: شديدة زائدة في الشدة ، كما زادت قبائحهم في القبح[1]، (طَغَى الْمَاءُ) ارتفع وقت الطوفان ، (فِي الْجَارِيَةِ) في سفينة نوح (عليه السلام) ، (وَتَعِيَهَا) وتحفظها ، (أُذُنٌ وَاعِيَةٌ) حافظة لما تسمع[2].

(فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ) المراد بها: النفخة الأولى التي عندها خراب العالم، (وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ) رفعت من أماكنها، (فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً) فَضُربت بعضها ببعض ضربة واحدة؛ فيصير الكل هباءً، أو فُبسطتا بسطة واحدة فصارتا أرضًا لا عوج فيها، (فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ) فحينئذ قامت القيامة[3].

(وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ) فُتحت أبوابًا ، (فَهِيَ يَوْمَـئِذٍ وَاهِيَةٌ) ضعيفة ساقطة القوة بعد ما كانت محكمة [4]، (وَالْمَلَكُ) للجنس بمعنى

---

١) تفسير البيضاوي، ٥/ ٣٧٨.

٢) تفسير النسفي، ٤/ ٢٢٣.

٣) تفسير البيضاوي، ٥/ ٣٧٩.

٤) تفسير الجلالين، ص٧٦٢.

الجمع، (عَلَى أَرْجَائها) جوانبها؛ لأنها إذا انشقت- وهي مسكن الملائكة- فيلجئون إلى أطرافها ، (يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ) من الملائكة[1].

(هَآؤُمُ) أي: خذوا ، (إِنِي ظَنَنتُ) علِمتُ، (مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ) مُعاين حسابي ، (قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ) ثمارها قريبة من مريدها ينالها القائم والقاعد والمتكئ ، (هَنِيئًا) لا مكروه فيه ولا أذى، (بِمَآ أَسْلَفْتُمْ) بما قدمتم من الأعمال الصالحة، (فِي الأَيَّامِ الخَالِيَةِ) الماضية من أيام الدنيا[2]، (كَانَتِ الْقَاضِيَةَ) أي: الموتة القاطعة لأمري، ولم أُبْعَث، (مَا أَغْنَى عَنِّي) أي: ما دَفع العذاب عَنّي، (مَالِيَهْ) أي: الذي كان لي

---

١) تفسير النسفي، ٤/ ٢٢٣، وقيل:" إن الملائكة بعد انشقاق السماء وتداعيها - وهي مسكنهم - يقفون على جوانبها وأطرافها فزعين خائفين من عظمة الله (تعالى) ذي الجلال، ومن هول ذلك اليوم، ويحمل عرش الرحمن (جلَّ وعلا) ثمانية من الملائكة العظام، أو ثمانية صفوف، ويكون العرش وحملته فوق الملائكة الذين على أرجاءِ وأطراف السماوات، وفي هذا اليوم العصيب الرهيب تعرضون على ربكم للمحاسبة والمساءَلة ثم المجازاة". التفسير الوسيط، مجمع البحوث، ١٠/ ١٥٥٧.

٢) تفسير النسفي، ٥/ ٢٢٣.

من مالٍ ونحوه ، (سُلْطانِيَهْ) أي: حُجّتِي ، أو تسلّطي وقوّتي، (فَغلّوه) أي: اجعلوا الغلّ في يديه وعُنقه، (الجَحيم صَلّوه) أي: أدخلوه، أو احرقوه فيها، (فاسْلكوه) أي: فأدخلوه فيها، (وَلَا يَحُضُّ) أي: لا يَحثّ ولا يُحرّض ، (حَمِيمٌ) أي: قريبٌ يَحْميه من العَذاب، (غِسْلِينٍ) أي: صَديد أهل النار[1].

(فَلا أُقْسِمُ) أي: أقسم، (بِما تُبْصِرُونَ) ما تبصرون من آثار القدرة ، (وَما لا تُبْصِرُونَ) من أسرار القدرة ، وقيل: (وَما لا تُبْصِرُونَ) الملائكة ، والرسول الكريم جبريل (عليه السلام)، فأراد الله تعالى أن يعمم في هذا القسم جميع مخلوقاته[2]، (رَسُولٍ كَرِيمٍ) أي: محمد (صلى الله عليه وسلم)[3]، (الْأَقَاوِيلِ) أي: افترى،

١) تفسير البيضاوي، ٥/ ٣٨٣، كلمات القرآن تفسير وبيان، ص ١١٩.

٢) المحرر الوجيز، ٥/ ٣٦١.

٣) تفسير الرازي، ٣٠/ ٦٣٣، أضاف- سبحانه- القرآن إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم) باعتبار أنه هو الذي تلقاه عن الله (تعالى) وهو الذي بلغه عنه بأمره، أي: أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) يقول هذا القرآن، وينطق به، على وجه التبليغ عن الله تعالى، أي: ليس هذا القرآن قولًا من رجل شاعر؛ لأن هذا الوصف مباين لصنوف الشعر، ولا بقول كاهن؛ لأَن الكهان تمدهم الشياطين بالغي والضلال. التفسير الوسيط، مجمع البحوث، ١٠/ ١٥٦٦.

وسمى الافتراء تقوّلًا؛ لأنه قول مُتكلَّف ، والأقوال المفْتراة أقاويل تحقيرًا لها، (لَأَخَـذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ) أي: بيمينـه، (الْوَتِينَ) أي: نيـاط القلب، وهو عرق متصل به إذا انقطع مات صاحبه[1].

(حَاجِزِينَ) مانعين، (لَحَسْرَة) ندامة وخزي[2].

في رحاب السورة الكريمة :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿ الْحَاقَّةُ ① مَا الْحَاقَّةُ ② وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ③ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ④ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ⑤ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ⑥ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ⑦ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ ⑧ وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ ⑨ فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ⑩ إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ⑪ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ⑫ ﴾

القيامة الواقعة حقًّـا ، ما القيامة الواقعـة حقًّا؟ وأي شيء أدراك

---

١) تفسير البيضاوي، ٥/ ٣٨٤، وتفسير الجلالين، ص٧٦٤.

٢) تفسير الجلالين، ص٧٦٤.

حقيقتها، وصوَّر لك هولها وشدتها؟ كذبت ثمود وعاد بالقيامة التي تقرع العالمين بأهوالها وشدائدها ، فأما ثمود فأُهلِكوا بالواقعة، التي جاوزت الحد في الشدة ، وأما عاد فأهلكوا بريح باردة عنيفة، سلَّطَهَا الله عليهم سبع ليال وثمانية أيام متتابعة لا تنقطع ، فترى القوم في مهاب الريح موتى ؛ كأنهم أصول نخل خاوية أجوافها، فهل ترى لهم من نفس باقية دون هلاك ، وجاء فرعون ومن قبله من الأمم التي كفرت ، والجماعة المنصرفة عن الحق والفطرة السليمة، بالأفعال ذات الخطأ العظيم الفاحش، فعصت كل أمة من هؤلاء رسول ربهم، فأخذهم بعقابه أخذة زائدة في الشدة ، إنا لما جاوز الماء حدَّه ، وعلا فوق الجبال في حادث الطوفان ، حملناكم - بحمل أصولكم - في السفينة الجارية ؛ لنجعل الواقعة التي كان فيها نجاة المؤمنين وإغراق الكافرين عبرة لكم وعظة ، وتحفظها كلُّ أذُنٍ حافظة لما تسمع[1].

---

١) المنتخب في تفسير القرآن الكريم، ص ٨٤٨ ، ٨٤٩.

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ ۝١٣ وَحُمِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةٗ وَٰحِدَةٗ ۝١٤ فَيَوۡمَئِذٖ وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ۝١٥ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوۡمَئِذٖ وَاهِيَةٞ ۝١٦ وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَاۚ وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ ۝١٧ يَوۡمَئِذٖ تُعۡرَضُونَ لَا تَخۡفَىٰ مِنكُمۡ خَافِيَةٞ ۝١٨﴾

فإذا نُفِخ في الصور نفخة واحدة، ورفعت الأرض والجبال عن موضعهما ، فَدُكَّتا مرة واحدة ، فيومئذٍ نزلت النازلة ، وانشقت السماء بزوال إحكامها ، فهي يومئذٍ ضعيفة بعد أن كانت محكمة قوية ، والملائكة على جوانبها ، ويحمل عرش ربك فوق هؤلاء الملائكة يومئذ ثمانية ، يومئذ تعرضون للحساب ، لا يخفي منكم أي سر كنتم تكتمونه[1].

﴿فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ۝١٩ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ ۝٢٠ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ۝٢١ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ ۝٢٢ قُطُوفُهَا دَانِيَةٞ ۝٢٣ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ ۝٢٤ وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ ۝٢٥ وَلَمۡ أَدۡرِ مَا حِسَابِيَهۡ ۝٢٦ يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ ۝٢٧

١) المنتخب في تفسير القرآن الكريم، ص ٨٤٩.

﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ٢٩ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ٣٠ ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ صَلُّوهُ ٣١ ثُمَّ فِي سِلۡسِلَةٖ ذَرۡعُهَا سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا فَٱسۡلُكُوهُ ٣٢ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ ٱلۡعَظِيمِ ٣٣ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ٣٤ فَلَيۡسَ لَهُ ٱلۡيَوۡمَ هَٰهُنَا حَمِيمٞ ٣٥ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنۡ غِسۡلِينٖ ٣٦ لَّا يَأۡكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡخَٰطِـُٔونَ ٣٧﴾

فـأما مـن أُعطي كتابه بيمينه فيقول معلنًا سروره لمن حـوله: خـذوا اقرأوا كتابي ، إني أيقنت في الدنيا أني ملاقٍ حسابي ؛ فأعددت نفسـي لهذا اللقـاء ، فهو في عيشة يعمّها الرضى، في جنة رفيعة المكان والدرجات ، ثمارها قريبة التناول ، كلوا واشربوا أكلًا وشربًا لا مكروه فيهما ، ولا أذى منهما ، بما قدمتم من الأعمال الصالحة في أيام الدنيا الماضية ، وأما من أُعطي كتابه بشماله فيقول ندمًا وحسرةً : يا ليتني لم أُعط كتابي ، ولم أعلم ما حسابي ، يا ليت الموتة كانت الفاصلة في أمري ، فلم أُبعث بعدها ، ما نفعني شيء ملكته في الدنيا ، ذهبت عني صحتي ، وزالت قوتي ، ويُقال لخزنة جهنم: خذوه فاجمعوا يديه إلى عنقه ، ثم لا تدخلوه إلا نار الجحيم، ثم في سلسلة بالغة الطول فاسلكوه ، إنه كان لا يصدق بالله

العظيم، ولا يحث أحدًا على إطعام المسكين ، فليس لهذا الكافر اليوم في الجحيم قريب يدفع عنه ، وليس له طعام إلا من غسالة أهل النار ، التي هي دم وقيح وصديد ، لا يأكله إلا الخاطئون الذين تعمدوا الخطيئة ، وأصروا عليها[1].

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ۝٣٨ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ۝٣٩ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝٤٠ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ۝٤١ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٤٢ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٤٣ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ۝٤٤ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ۝٤٥ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ۝٤٦ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ۝٤٧ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ۝٤٨ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ۝٤٩ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٥٠ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ۝٥١ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ۝٥٢﴾

فلا أقسم أي أقسم بما تبصرون من المرئيات ، وما لا تبصرون من عالم الغيب ، إن القرآن لمن الله على لسان رسول رفيع المكانة ، وما القرآن بقول شاعر كما تزعمون ، قليلًا ما يكون منكم إيمان بأن

---

١) المنتخب في تفسير القرآن الكريم ص ٨٤٩ ، ٨٥٠ .

القرآن من عند الله ، وما القرآن بسجع كسجع الكُهَّان ، الذي تعهدون قليلًا ما يكون منكم تذكر وتأمل للفرق بينهما ؛ بل هو تنزيل ممن تعهد العالمين بالخلق والتربية ، ولو ادعى علينا شيئًا لم نَقلْه لأخذنا منه كما يأخذ الآخذ بيمين من يُجهز عليه للحال ، ثم لقطعنا منه نياط قلبه ، فيموت لساعته ، فليس منكم أحد- مهما بلغت قوته- يحجز عقابنا عنه ، وإنَّ القرآن لعظة للذين يمتثلون أوامر الله ، ويجتنبون نواهيه ، وإنَّا لنعلم أن منكم مكذبين بالقرآن، وإنه لسبب في ندامة شديدة على الجاحدين به حين يرون عذابهم ونعيم المصدقين ، وإن القرآن لحق ثابت لا ريب فيه ، فنزِّه ربك العظيم ، ودُمْ على ذكر اسمه (سبحانه وتعالى)[1].

من مقاصد السورة الكريمة :

١ – العظة بالحديث عن أهوال يوم القيامة، وعن مصارع المكذبين، وعن أحوال أصحاب اليمين وأصحاب الشمال[2].

---

١) المنتخب في تفسير القرآن الكريم، ص٨٥٠ ، ٨٥١ .

٢) التفسير الوسيط للأستاذ الدكتور/ سيد طنطاوي، ١٥/ ٦٥.

٢- تذكير الناس بما حل بالأمم التي كذَّبت به من عذاب في الدنيا ثم عذاب الآخرة ؛ حتى لا يقع أحدهم في مثل معاصيهم.

٣- التأكيد على أن الله ـ تعالى ـ عالم بأحوالنا؛ فلا يخفى عليه شيء منها، ولا يخفى في يوم القيامة ما كان مخفيًّا في الدنيا ؛ إذ إنه يُظهر أحوال الخلائق ، فالمحسنون يُسَرُّون بإحسانهم ، والمسيئون يحزنون بإساءتهم[1].

٤- التأكيد على أن هذا القرآن من عند الله ـ تعالى ـ وأن الرسول (صلى الله عليه وسلم) صادق فيما يبلغه عن ربه عز وجل[2].

٥- تنبيه الخلق ببعث الخلائق ، لإحقاق الحق ، وإزهاق الباطل، بالكشف التام بشمول العلم للكليات والجزئيات ، وكمال القدرة على العلويات والسفليات ، وإظهار العدل بين سائر المخلوقات ،

---

١) لباب التأويل في معاني التنزيل(تفسير الخازن)، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، تحقيق/ محمد علي شاهين ، ٤/ ٣٣٥، ط دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٤١٥هـ.

٢) التفسير الوسيط للدكتور سيد طنطاوي، ١٥/ ٦٥.

فيميز المسلم من المجرم بالمُلَذِّذ والمؤلم[1].

٦- بيان صفات الإنسان التي اكتسبها فأوجبت له الجحيم، وكيف يجتهد لإزالة ما به من النقص حتى يرتقي إلى المعارج، ويخرج من عالم المادة[2].

٧- الإشارة إلى أن ثواب المتقين كائن لا محالة ، وأن الله ـ عز وجل ـ لا يجعل المسلمين كالمجرمين ، وذلك تقرير لمثوبة المتقين المسلمين، ومآب العصاة المجرمين ، ويحمل من الهدى لذوي العقول والبصائر[3].

٨- التأكيد على أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) لم يتقوَّل القرآن الكريم ، وأنه من عند الله ـ تعالى ـ وما هو بقول شاعر، ولا بقول كاهن.

* * *

١) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، ٣/ ١١٦.

٢) تفسير المراغي ، ٢٩/ ٧٧.

٣) راجع: التفسير البياني للقرآن الكريم، عائشة محمد علي عبد الرحمن، المعروفة بـ (بنت الشاطئ) ،٢/ ٦٦ بتصرف، ط دار المعارف، القاهرة.

سورة المعارج

(مكية وآياتها أربع وأربعون آية)

سبب النزول:

عن ابن عباس (رضي الله عنهما) في قوله تعالى:{سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ}، قال: هو النضر بن الحارث ، قال: {اللهمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْـحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ}[الأنفال: ٣٢]، فدعا على نفسه ، وسأل العذاب ، فنزل به ما سأل يوم بدر، فقُتِل[1].

وفيه أيضًا: أن المشركين كانوا يجتمعون حول النبي(صلى الله عليه وسلم) يستمعون كلامه ولا ينتفعون به ؛ بل يكذبون به ويستهزئون ، ويقولون: لئن دخل هؤلاء الجنة لندخلنها قبلهم، وليكونن لنا فيها أكثر مما لهم ، فأنزل الله ـ تعالى ـ قوله: {أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ}[2].

---

١) تفسير ابن أبي حاتم، ١٠/ ٣٣٧٣.

٢) أسباب النزول للواحدي، ص٤٦٦ .

معاني المفردات :

(سَأَلَ سَآئِلٌ بعَذَابٍ) أي: بعذاب واقع كائن للكافرين، (دَافِعٌ) رادّ من الله، (ذِي الْمَعَارِجِ) أي: مصاعد السماء للملائكة[1].

(تَعْرُجُ) تصعد ، (وَالرُّوحُ) أي: جبريل (عليه السلام) خصه بالذكر بعد العموم لفضله وشرفه، (خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ) من سني الدنيا لو صعد فيه غير الملك ، أي: يقع في يوم طويل مقداره خمسون ألف سنة من سنيكم ، وهو يوم القيامة، فإما أن يكون استطالة له لشدته على الكفار، أو على الحقيقة[2].

(فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا) والصبر الجميل هو الذي لا شكوى معه، وهو الذي يُوفَّى فيه الصابرون أجرهم بغير حساب ؛ بل قد يتبعه إحسان على حد قوله تعالى : {وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَالله يُحِبُّ الْـمُحْسِنِينَ}[3] ، وهو صبر الرضا بقضاء الله

---

1) المحرر الوجيز، ٥/ ٣٦٤.

2) تفسير النسفي، ٤/ ٢٢٥.

3) آل عمران: ١٣٤.

وقـدره[1] ، وهو أن ينظر إلى من آذاه بعين الرضا والشفقة ، ليس بعين السخط والكراهة[2]، (إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ) الضمير للعذاب ، أو يوم القيامة، (بَعِيدًا) من الإمكان ، (وَنَرَاهُ قَرِيبًا) منه أو من الوقوع[3]، (السَّماءُ كَالْمُهْلِ) الزيت المغلي المذاب ، (الْجِبالُ كَالْعِهْنِ) كالصوف المصبوغ[4].

(يُبَصَّرُونَهُمْ) أي: يُعرّف الأحماء أحماءهـم، (وَفَصِيلَتِهِ) أي: عشيرته الأقـربـين المنفصل عنهم، (تُؤْوِيهِ) أي: تضمّه في النّسب،

١) الكمال والجمال في القرآن الكريم ، د /محمد مختار جمعة ، ص٥٧، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٢٠م.

٢) تفسير الماتريدي، ١٠/ ١٩٩.

٣) المحرر الوجيز، ٥/ ٣٦٥، تفسير الماتريدي ، ١٠/ ١٩٩.

٤) تفسير البيضاوي، ٧/ ٣٨٧ ، والمعنى: يقع هذا العذاب على هؤلاءِ المجرمين يوم تكون فيه السماءِ - بعد تشققها وتداعيها - قد تغير لونها من الخضرة إِلى الحمرة، أو كما يذاب من المعادن، أو تكون السماء واهية، وتصير الجبال متناثرة متطايرة في الجو تشبه الصوف المنفوش؛ لأن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود، فإِذا بُسَّت وطُيرت في الجو أشبهت العهن المنفوش إذا طيرته الريح. التفسير الوسيط لمجمع البحوث، ١٠/ ١٥٧٣.

أو عِند الشدّة ، (كَلَّا إِنَّهَا لَظَى) أي: جهنّم ، أو الدركة الثانية مِنها، (نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى) أي: قلاّعة للأطراف ، أو جلدِ الرّأس ، (فَأَوْعَى) أي : أمسك ماله في وعاءٍ حرصًا وتأميلًا ، (هَلُوعًا) أي : كثيرَ الجَزَعَ ، شديد الحِرْص ، (جَزوعًا) أي: كثير الجَزَعِ والأَسَى، (مَنوعًا) أي : كثير المنع والإمساك[1].

(حَقٌّ مَعْلُومٌ) أي: أعلمه الله ـ تعالى ـ في أموالهم ، فلزمهم إخراجه وهو الزكاة ، (لِلسَّائِلِ) للمحتاج ، (وَالْمَحْرُومِ) الذي لا يسأل، فيحسب نفسه غنيًّا فيحرم[2].

(مُشْفِقُونَ) أي: خائفون وجلون، (لِفُرُوجِهِمْ حافِظُونَ) أي: لا يستعملون شهواتهم إلا مع أزواجهم ، أو ما ملكت أيمانهم، (فَمَنِ ابْتَغى وَراءَ ذلِكَ) أي: فمن طلب خلاف ذلك الذي أحله سبحانه، (فَأُولئِكَ هُمُ العادُونَ) أي: المعتدون المتجاوزون ما نهى الله تعالى عنه ، (راعُونَ) جمع راع ، وهو الذي يرعى الحقوق والأمانات

---

١) تفسير الجلالين، ١/ ٧٦٥، كلمات القرآن تفسير وبيان، ص١٢٠.

٢) تفسير النسفي، ٤/ ٢٢٧، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للواحدي، ٤/ ٣٥٣.

والعهود ، ويحفظها ويحرسها.

(بِشَهاداتِهِمْ قائِمُونَ) أي: يؤدون الشهـــادة على وجههـا الحق، فـلا يشهـدون بالزور ، ولا يكتمون الشهادة ، والمراد بالقيام بها: أداؤها على أتم وجه وأكمله وأعدله ، والاهتمام بشأنها ، وحفظها إلى أن يؤديها لصاحبها[1].

(فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ) نحوك، (مُهْطِعِينَ) الهَطَع هو السير بسرعة مع مد العنق، (عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ) جماعات من الناس[2]، (فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ) يعني: مشرق كل يوم من السنة ومغربه، أو مشرق كل كوكب ومغربه[3]، (فَذَرْهُمْ) فدع المكذبين ، (يَخُوضُواْ) في باطلهم ، (وَيَلْعَبُواْ) في دنياهم[4]،

---

١) تفسير الماتريدي، ١٠/ ٢٠٩، التفسير الوسيط للأستاذ الدكتور سيد طنطاوي، ١٥/ ١٠٢.

٢) تفسير الرازي، ٣٠ / ٦٤٦، ٦٤٧، التفسير الوسيط للدكتور سيد طنطاوي، ١٥/ ١٠٤.

٣) تفسير الرازي، ٣٠/ ٦٤٦، ٦٤٧.

٤) تفسير النسفي، ٣/ ٥٤٠، كلمات القرآن تفسير وبيان، ص١٢٠.

(الْأَجْداثِ) القبور، (سِراعًا) أي: مُسْرعين إلى الدّاعي، (نُصُب) وهي الأشياء الّتي تُنصب فتعبد من دون الله[1]، (يوفِضون) أي: يُسْرعون، (خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ) أي: ذليلة مُنكسرة لا يَرفعونها، (تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ) أي: تغْشاهمْ مَهَانة شديدة[2].

في رحاب السورة الكريمة :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ ﴾

دعا داع – استعجالًا– على سبيل الاستهزاء ، بعذاب واقع – من الله للكافرين– لا محالة ، ليس لذلك العذاب راد يصرفه عنهم، فوقوعه لا شك فيه ؛ لأنه من الله صاحب الأمر والحكم النافذ، تصعد الملائكة وجبريل إلى مهبط أمره في يوم كان طوله خمسين

١) تفسير الرازي، ٣٠/ ٦٤٨، تفسير القرطبي ، ١٨/ ٢٩٦.

٢) المحرر الوجيز، ٥/ ٣٧١ ، كلمات القرآن تفسير وبيان، ص١٢٠ .

ألف سنة من سِني الدنيا ، فاصبر يا محمد على استهزائهم واستعجالهم بالعذاب صبرًا لا جزع فيه ، ولا شكوى منه ، إن الكفار يرون يوم القيامة مستحيلًا لا يقع ، ونراه هينًا في قدرتنا، غير متعذر علينا[1].

﴿ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ۝٨ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ۝٩ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ۝١٠ يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ۝١١ وَصَـٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ۝١٢ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ۝١٣ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ۝١٤ كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ۝١٥ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ۝١٦ تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ۝١٧ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ۝١٨ ﴾

يوم تكون السماء واهية ، وتكون الجبال كالصوف المنفوش ، ولا يسأل قريب قريبه كيف حالك؟ لأن كل واحد منهما مشغول بنفسه ، يتعارفون بينهم حتى يعرف بعضهم بعضًا يقينًا ، وهو مع ذلك لا يسأله ، يود الكافر لو يفدي نفسه من عذاب يوم القيامة ببنيه، وزوجته ، وأخيه ، وعشيرته التي تضمه وينتمي إليها ، ومن

١) المنتخب في تفسير القرآن الكريم، ص٨٥٢.

في الأرض جميعًا ، ثم يُنجيه هذا الفداء ، ارتدع - أيها المجرم - عما تتمناه من الافتداء ، إنّ النار لهب خالص ، شديدة النزع ، تنادي بالاسم من أعرض عن الحق ، وترك الطاعة ، وجمع المال فوضعه في خزائنه ، ولم يؤد حق الله فيه[1].

﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ۝٢١ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ۝٢٢ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ۝٢٣ وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۝٢٤ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ۝٢٥ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٢٦ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ۝٢٧ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ۝٢٨ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٢٩ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٣٠ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٣١ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٣٢ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ۝٣٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٣٤ أُو۟لَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ۝٣٥ ﴾

إن الإنسان طُبع على الهلع ، شديد الجزع والسخط إذا مسه

---

1) المنتخب في تفسير القرآن الكريم، ص٨٥٢ ، ٨٥٣.

المكروه والعسر ، شديد المنع والحرمان إذا أصابه الخير واليسر، إلا المصلين ، الذين هم دائمون على صلاتهم ، فلا يتركونها في وقت من الأوقات ، فإن الله يعصمهم ويوفقهم إلى الخير ، والذين في أموالهم حق مُعَيَّن مشروع ، لمن يسأل المعونة منهم ، ولمن يتعفف عن سؤالها، والذين يُصدِّقون بيوم الجزاء ؛ فيتزودون له ، والذين هم من عذاب ربهم خائفون ؛ فيتقونه ولا يقعون في أسبابه ، إن عذاب ربهم غير مأمون لأحد أن يقع فيه ، والذين هم حافظون لفروجهم فلا تغلبهم شهواتها ، لكن على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فيما أحلّ لهم ، فإنهم غير ملومين في تركها على طبيعتها ، فمن طلب متاعًا وراء ما أُحلَّ لهم ، فأولئك هم المتجاوزون الحلال إلى الحرام، والذين هم لأمانات الشرع وأمانات العباد وما الْتزموه لله وللناس حافظون ، غير خائنين ولا ناقضين ، والذين هم بشهاداتهم قائمون بالحق ، غير كاتمين لما يعلمون ، والذين هم على صلاتهم يحافظون، فيؤدونها على أكمل الوجه وأفضله ، أصحاب هذه الصفات المحمودة في جنات مُكرمون من الله تعالى[1].

---

١) المنتخب في تفسير القرآن الكريم، ص٨٥٣، ٨٥٤.

﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهۡطِعِينَ ۝٣٦ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ۝٣٧ أَيَطۡمَعُ كُلُّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ أَن يُدۡخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٖ ۝٣٨ كَلَّآۖ إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّمَّا يَعۡلَمُونَ ۝٣٩﴾

أي شيء ثبت للذين كفروا جعلهم إلى جهتك مسرعين مُلتفِّين عن يمينك وشمالك جماعات؟! أيطمع كل امرئ منهم ، وقد سمع وعد الله ورسوله للمؤمنين بالجنة ، أن يدخل جنة نعيم؟ فليرتدعوا عن طمعهم في دخولهم الجنة، إنا خلقناهم من ماء مهين[1].

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ۝٤٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ۝٤١ فَذَرۡهُمۡ يَخُوضُواْ وَيَلۡعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ۝٤٢ يَوۡمَ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ سِرَاعٗا كَأَنَّهُمۡ إِلَىٰ نُصُبٖ يُوفِضُونَ ۝٤٣ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۚ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ۝٤٤﴾

فلا أقسم برب المشارق والمغارب من الأيام والكواكب ، إنا لقادرون على أن نهلكهم ، ونأتي بمن هم أطوع منهم لله ، وما نحن بعاجزين عن هذا التبديل ، فاتركهم يخوضوا في باطلهم ، ويلعبوا

---

١) المنتخب في تفسير القرآن الكريم، ص٨٥٣، ٨٥٤.

بدنياهم ، حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون فيه العذاب ، يوم يخرجون من القبور سراعًا إلى الداعي ، كأنهم إلى ما كانوا قد نصبوه وعبدوه في الدنيا من دون الله يسرعون ، ذليلة أبصارهم ، لا يستطيعون رفعها، تغشاهم المذلة والمهانة، ذلك اليوم الذي كانوا يُوعدون به في الدنيا[1].

من مقاصد السورة الكريمة:

١ – التأكيد على أهوال القيامة ، وتصوير عظمتها بعظمة ملكهـا، وطـول يومهـا ، وبيان– للمنذر بها – أن من كذبه له من الصَّغار، والذل ، والتَّبار[2].

٢–تخويف الكافرين بعذاب يوم القيامة ، حيث تذكر السـورة جانبًـا من استـهزاء المشركين بما أخبرهـم به النبي (صلى الله عليه وسلم) من بعث وثـواب وعقـاب ، وترد عليهم بما يكبتهم ؛ حيث

١) المنتخب في تفسير القرآن الكريم، ص٨٥٤.

٢) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، ٣/ ١١٩.

تؤكد أن يوم القيامة حق ، وأنه واقع ، وأن أهواله شديدة [1].

٣- بيان موطنٍ من مواطن الكمال والجمال المعنوي في القرآن الكريم ، فقد تحدثت السورة الكريمة عن الصبر الجميل ، وهو الذي لا شكوى معه[2].

٤ -بيان أن الإنسان لإيثاره الجزع والمنع وتمكنهما منه ورسوخهما فيه ، كأنه مجبول عليهما[3].

٥-تُبيِّن الآيات أن طبيعة الإنسان متباينة ، وتمدح المحافظين على صلاتهم ، وعلى أداء حقوق الله- تعالى- في أموالهم ، وأن الذين يؤمنون بأن البعث حق ، يستعدون لهذا اليوم ، بالإيمان والعمل الصالح[4].

---

١) التفسير الوسيط للأستاذ الدكتور/ سيد طنطاوي، ١٥/ ٨٩.

٢) الكمال والجمال في القرآن الكريم، ص٥٧.

٣) تفسير الزمخشري، ٤/ ٦١٢.

٤) التفسير الوسيط للأستاذ الدكتور/ سيد طنطاوي، ١٥/ ٨٩ ، ٩٠.

٦-التأكيد على أن الذين يحفظون الأمانات التي عندهم ولا يخونون فيها ، هم مصدقون بيوم الدين ؛ فالمعرفة التي في قلوبهم أمانة ، والأسرار التي بينهم وبين الله أمانة ؛ فلا يدنّسونها بالخطايا[١].

٧-تحذير للمشركين والمعاندين من استئصالهم ، وتبديلهم بخير منهم[٢].

❊ ❊ ❊

---

١) تفسير القشيري، ٣/ ٦٣٢ بتصرف.

٢) التحرير والتنوير، ٢٩/ ١٥٣.

سورة نوح

(مكية وآياتها ثمان وعشرون آية)

معاني المفردات:

(أَنذِرْ) خوِّف ، (عَذَابٌ أَلِيمٌ) عذاب الآخرة ، أو الطوفان ، (قَالَ يَـا قَوْمِ) أضافهم إلى نفسه إظهارًا للشفقة ، (إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ) مخوِّف ، (مُّبِينٌ) أبين لكم رسالة الله ، (وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى) وهو وقت موتكم ، (إِنَّ أَجَلَ الله) أي: الموت[1].

(فِرارًا) تَبَاعُدًا ونِفَارًا عن الإيمان، (استَغْشَوْا ثِيابهم) أي: بالغُوا في التّغَطّي بها كَرَاهة لي ، (أصرّوا) أي: تشدّدوا وانْهَمَكُوا في الكُفر، (يُرْسِلِ السّمآء) أي : المطر الذي في السّحاب ، (مِدْرارًا) غزيرًا مُتتابعًا ، (لا تَرْجونَ لله وَقارًا) أي: لا تعتقِدون أو لا تخافون عَظمَة الله[2].

(وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا) أي : تارات إذ خلقهم أولا عناصـر ، ثم

---

١) تفسير النسفي، ٤/ ٤٣٠.

٢) كلمات القرآن تفسير وبيان ، ص١٢٠.

مركبات ، ثم أخلاطًا، ثم نطفًا ، ثم علقًا ، ثم مضغًا ، ثم عظامًا ولحومًا، ثم أنشأهم خلقًا آخر ، (سِرَاجًا) مصباحًا يبصر أهل الدنيا في ضوئها، (نَباتًا) أنشأكم منها ، (ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيها) مقبورين.

(وَيُخْرِجُكُمْ إِخْراجًا) أي : إحياءً وخروجًا للحشر، (فِجاجًا) واسعة، (كُبَّارًا) كبيرًا ، (وَقالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ) أي: عبادتها ، (وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُواعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا) أصنام لأسماء رجال صالحين كانوا بين آدم ونوح (عليهما السلام)، فلما ماتوا صنعوا تماثيل لهم ، ثم عُبدوا[1] ، فكان (وَدًّا) صنم لقبيلة بني كلب و (سُوَاعًا) لقبيلة هُذيْل ، و(يَغوثَ) لقبيلة غَطفان ، و (يَعُوق) لقبيلة هَمدان و (نَسْرَا) لقبيلة حِمير ، (دَيَّارًا) أي: أحدًا يدور في الأرض ، (تبارًا) أي: هَلاكًا وَ دَمارًا[2].

في رحاب السورة الكريمة :

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ

١) تفسير البيضاوي، ٣/ ٥٤٥.

٢) تفسير البيضاوي، ٥/ ٢٥٠ ، تفسير النسفي،٤/ ٢٣٢.

مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ
٢ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ٣ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ
وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۚ لَوۡ كُنتُمۡ
تَعۡلَمُونَ ٤ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا ٥ فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ
إِلَّا فِرَارٗا ٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ
ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا ٧ ثُمَّ
إِنِّي دَعَوۡتُهُمۡ جِهَارٗا ٨ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا
٩ فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ١٠ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم
مِّدۡرَارٗا ١١ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ
أَنۡهَٰرٗا ١٢ مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا ١٣ وَقَدۡ خَلَقَكُمۡ أَطۡوَارًا ١٤ ﴾

إنا أرسلنا نوحًا إلى قومه ، وقلنا له: أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب شديد الإيلام، قال نوح: يا قوم إني لكم نذير مُبَيِّن أبلغكم رسالة ربكم بلغة تعرفونها ، أن أطيعوا الله واخضعوا له في أداء الواجبات ، وخافوه بترك المحظورات ، وأطيعوني فيما أنصح لكم به ، يغفر الله لكم ذنوبكم ، ويُمد في أعماركم إلى أجل مسمى

جعله غاية الطول في العمر ، إن الموت إذا جاء لا يُؤَخَّر أبدًا ، لو كنتم تعلمون ما يحل بكم من الندامة عند انقضاء أجلكم لآمنتم، قال نوح: رب إني دعوت قومي إلى الإيمان ليلًا ونهارًا بلا فتور، فلم يزدهم دعائي لهم إلا هروبًا من طاعتك ، وإني كلما دعوتهم إلى الإيمان بك لتغفر لهم، وضعوا أصابعهم في آذانهم حتى لا يسمعوا دعوتي، وتغطوا بثيابهم حتى لا يروا وجهي ، وأقاموا على كفرهم، وتعظموا عن إجابتي تعظمًا بالغًا ، ثم إني دعوتهم إليك بصوت مرفوع ، ثم إني جهرت بالدعوة في حال ، وأخفيتها إخفاء في حال أخرى ؛ حتى أجرب كل خطة ، فقلت لقومي: اطلبوا مغفرة الكفر والعصيان من ربكم ، إنه لم يزل غفارًا لذنوب مَن يرجع إليه ، يرسل السماء عليكم غزيرة الدر بالمطر ، ويمدكم بأموال وبنين هما زينة الحياة الدنيا ، ويجعل لكم بساتين تنعمون بجمالها وثمارها ، ويجعل لكم أنهارًا تسقون منها زرعكم ومواشيكم ، ما لكم لا تعظِّمون الله حق عظمته حتى ترجو تكريمكم بإنجائكم من العذاب؟! وقد خلقكم كَرَّاتٍ متدرجة ، نطفًا ، ثم علقًا، ثم

مضغًا ، ثم عظامًا ولحمًا[1].

﴿ أَلَمۡ تَرَوۡاْ كَيۡفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗا ۝١٥ وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا ۝١٦ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ۝١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا ۝١٨ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطٗا ۝١٩ لِّتَسۡلُكُواْ مِنۡهَا سُبُلٗا فِجَاجٗا ۝٢٠ ﴾

ألم تنظروا لتروْا كيف خلق الله سبع سماوات بعضها فوق بعض، وجعل القمر في هذه السماوات نورًا ينبعث منها ، وجعل الشمس مصباحًا يبصر أهل الدنيا في ضوئه ما يحتاجون إلى رؤيته، والله أنشأكم من الأرض فنبتم نباتًا عجيبًا، ثم يعيدكم في الأرض بعد الموت ، ويخرجكم منها إخراجًا محققًا لا محالة عند البعث ، والله جعل لكم الأرض مبسوطة ؛ لتكون لكم طرقًا واسعة[2].

﴿ قَالَ نُوحٞ رَّبِّ إِنَّهُمۡ عَصَوۡنِي وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمۡ يَزِدۡهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارٗا ۝٢١ وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا كُبَّارٗا ۝٢٢ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا

١) المنتخب في تفسير القرآن الكريم ، ص ٨٥٥، ٨٥٦ .

٢) المصدر السابق ، ص ٨٥٦.

تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٤﴾ مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا ﴿٢٥﴾﴾

قال نوح: رب إن قومي عصَوني فيما أمرتهم به من الإيمان والاستغفار، واتبع الضعفاء منهم مَن لم يزده مالُه وولدُه إلا خسرانًا في الآخرة ، ومكر أصحاب الأموال والأولاد بتابعيهم من الضعفاء مكرًا بالغ النهاية في العِظَم ، وقالوا لهم: لا تترُكنَّ عبادة آلهتكم ، ولا تترُكُنَّ ودًّا ولا سواعًا ولا يغُوثَ ويعُوقَ ونسرًا ، وكانت أصنامًا منحوتة على صور مختلفة ، وقد أضل هؤلاء المتبوعون كثيرًا من الناس، ولا تزد الظالمين لأنفسهم بالكفر والعناد إلا بُعدًا عن الحق، بسبب ذنوبهم أُغرقوا بالطوفان ، فأُدخلوا عقب هلاكهم نارًا عظيمة اللهب والإحراق ، فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارًا يدفعون عنهم العذاب [1].

١) المنتخب في تفسير القرآن الكريم، ص ٨٥٦، ص٨٥٧.

﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ﴿٢٨﴾ ﴾

وقال نوح بعد يأسه من قومه: رب لا تترك على الأرض من الكافرين بك أحدًا يدور في الأرض ويدب عليها ، إنك - يا رب - إن تتركهم دون إهلاك واستئصال يوقعوا عبادك في الضلال ، ولا يلدوا إلا معاندًا للحق شديد الكفر بك والعصيان لك ، رب اعفُ عني وعن والديّ اللذين كانا سببًا في وجودي ، وعمن دخل بيتي مؤمنًا بك ، وعن المؤمنين والمؤمنات جميعًا ، ولا تزد الكافرين إلا هلاكًا[1].

من مقاصد السورة الكريمة :

١ -الدلالة على القدرة الإلهية ، على ما أنذر به ، من إهلاك المنذرين، وتبديل خير منهم ، والقدرة على إيقاع يوم القيامة ، الذي طال

---

١) المنتخب في تفسير القرآن الكريم، ص ٨٥٧.

إنذارهــم به ، وهــم عنه معرضون ، وبه مكذبون[1].

٢-بيان أن دعوة سيدنا نوح (عليه السلام) قومه إلى الإيمان قد حوت:

(أ) طلب تركهم للذنوب ، وأنهم إذا فعلوا ذلك أكثر الله لهم المال والبنين.

(ب) النظر فى خلق السماوات والأرض والأنهار والبحار.

(ج) النظر فى خلق الإنسان ، وأن الأرض مسخرة له ومذللة[2].

٣- التأكيد على أن الخلق مجبولون على محبة الخيرات العاجلة ؛ ولذلك أعلمهم الله ـ تعالى ـ ها هنا أن إيمانهم بالله يجمع لهم مع الحـظ الـوافر في الآخرة الخصب والغنى في الدنيا[3].

٤- إبراز وعد الله ـ تعالى ـ للمؤمنين الطائعين بسعة الأرزاق، ونعيم الجنة[4].

---

١) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، ٣/ ١٢٤.

٢) راجع: تفسير المراغي، ٢٩/ ٩١.

٣) تفسير الرازي، ٣٠/ ٦٥٢.

٤) التحرير والتنوير، ٢٩/ ١٨٦.

٥- بيان أن سيدنا نوحًا (عليه السلام) دعا بالمغفرة لنفسه وللمؤمنين .

*   *   *

سورة الجـن

(مكية وآياتها ثمان وعشرون آية)

سبب النزول:

عن ابن عباس (رضي الله عنهمـا) قال : قالت الجن : يا رسول الله ، ائذن لنا أن نشهد معـك الصلـوات في مسجدك ، فأنـزل الله : { وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لله}[1].

وعن عبد الله بن الحضرمي[2] أنه ذُكر له أن جنِّيـًّا من الجن من أشرافهم ذا تبع ، قال: إنما يريد محمد أن يجيره الله وأنا أجيره ، فأنزل الله تعالى:{قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ الله أَحَدٌ}الآية[3].

معاني المفردات :

(اسْتَمَعَ نَفَرٌ) النفر : جماعة من الثـلاثة إلى العـشرة ، (مِنَ الْجِنِّ)

---

١) تفسير ابن أبي حاتم ، ١٠/ ٣٣٧٧.

٢) عبد الله بن لهيعة بن عقبة الحضرمي ، مات بمصر ، سنة أربع وسبعين ومائة . سير أعلام النبلاء، ٨/ ١١.

٣) لُباب النقول، ص٢٠٢-٢٠٤، بتصرف.

جـن نصـيبين ، وهـو موضع قرب الشام[1].

(قُرْآنًا عَجَبًا) عجيبًا بديعًا مباينًا لسائر الكتب في حسن نظمه ودقة معناه[2].

(يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ) إلى الحق والصواب ، (جَدُّ رَبِّنا) أي: عظمته ، من جد فلان في عيني إذا عظم ، أو سلطانه ، أو غناه ، (سَفِيهُنا) إبليس ، أو مردة الجن ، (عَلَى الله شَطَطًا) كذبًا وعدوانًا ؛ وهو وصفه بالشريك والولد[3] ، (يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ) كان الرجل إذا أمسى بوادٍ ، قال : أعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهائه ، (رَهَقًا) كبرًا وعتوًّا [4] ، (مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ) مواضع يقعد في مثلها لاستماع الأخبار من السماء ، يعني أن مردة الجن كانوا يفعلون ذلك ليستمعوا من الملائكة أخبار السماء حتى يلقوها إلى الكهنة ،

---

١) التفسير الوسيط للدكتور سيد طنطاوي ، ١٥/ ١٢٩.

٢) تفسير النسفي، ٤/ ٢٣٢.

٣) تفسير البغوي، ٥/ ١٥٩.

٤) المحرر الوجيز، ٥/ ٣٧٩.

(حَرَسًا شَدِيدًا) قويًّا، وهم الملائكة ، (وَشُهُبًا) جمع شهاب ، وهو المضيء المتولد من النار ، (كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا) أي: فرقًا شتى، ووصفت الطرائق بالقدد ؛ لدلالتها على معنى التقطع والتفرق[1]، (فَلَا يَخَافُ بَخْسًا) أي: لا يخاف النقص ، (وَلَا رَهَقًا) الرهق: الظلم، (وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ) الجائرون عن طريق الحق ، وهو الإيمان والطاعة ، (تَحَرَّوْا رَشَدًا) قصدوا طريق الحق ، (حَطَبًا) وقودًا[2].

(لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا) لوسَّعنا عليهم الرزق ، وتخصيص الماء الغدق- وهو الكثير- بالذكر ؛ لأنه أصل المعاش والسعة ولندرة وجوده بين العرب ، (لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ) لنختبرهم كيف يشكرونه ، (وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ) عن عبادته ، أو موعظته، (يَسْلُكْهُ عَذَابًا

---

١) تفسير القرطبي ، ١٩/ ١٥، تفسير البيضاوي، ٥/ ٣٩٨.

٢) تفسير الرازي، ٣٠/ ٦٧٠، القاسطون: جمع قاسط، وهو الذي ترك الحق واتبع الباطل، اسم فاعل من قسط الثلاثي بمعنى جار، والمُقْسِط: هو الذي ترك الباطل واتبع الحق. مأخوذ من أقسط الرباعي بمعنى عدل.التفسير الوسيط للأستاذ الدكتور/ سيد طنطاوي، ١٥/ ١٣٨.

صَعَدًا) يدخله عذابًا شاقًّا[1].

(عَبْدُ الله) أي : النبي (صلى الله عليه وسلم) ، (لِبَدًا) أي : مُتَرَاكِمِين من ازدحامهم عليه تعجّبًا ، (لاَ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا) مضرة ، (رَشَدًا) أي : نفعًا ، أو هداية [2] ، (لن يجيرني من الله) أي : لن يمنعَني من عذابه إن عَصيتُه ، (مُلتَحَدًا) أي: مَلْجَأ ، (أَمَدًا) أي: زمنا بعيدًا ، (فَإِنَّهُ يَسْلُكُ) يُسخر له من جميع جوانبه ، (رَصَدًا) حرسًا من الملائكة يحرسونه من وسوسة الشيطان ونوازعه[3].

في رحاب السورة الكريمة :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ۝٢ وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا

١) تفسير النسفي، ٤/ ٢٣٥، كلمات القرآن تفسير وبيان ، ص١٢٢ .

٢) تفسير البيضاوي، ٥/ ٣٩٨.

٣) تفسير النسفي ، ٤/ ٢٣٥، والتفسير الوسيط للدكتور/ سيد طنطاوي ، ١٥/ ١٤٥.

﴿٣ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ٤ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ٥﴾

قل يا محمد : أوحى الله إليَّ أن جماعة من الجن قد استمعوا إلى قراءتي للقرآن ، فقالوا لقومهم : إنا سمعنا قرآنًا بديعًا لم نسمع مثله من قبل ، يدعو إلى الهدى والصواب ، فآمنا - بالقرآن الذي سمعناه - ولن نشرك مع ربنا ـ الذي خلقنا وربَّانا ـ أحدًا في عبادته ، وأنه تعالى عظمة ربنا وقدره ، ما اتخذ زوجة ولا ولدًا، وأنه كان يقول جاهلُنا على الله قولًا بعيدًا عن الحق والصواب ، وأنا ظننا أن لن تنسب الإنس والجن إلى الله ما لم يكن ، ويصفوه بما لا يليق به[1].

﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ٦ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ٧ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ٨ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ

١) المنتخب في تفسير القرآن الكريم، ص٨٥٧ ، ٨٥٨ .

مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ۝٩ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ۝١٠﴾

وأنه كان رجال من الإنس يستجيرون برجال من الجن ، فزاد رجال الإنس رجال الجن طُغيانًا وسفهًا ، وأن الجن ظنوا كما ظننتم ـ معشر الإنس ـ أن لن يبعث الله أحدًا بعد الموت ، ولا رسولًا من البشر إليهم ، وأنا طلبنا بلوغ السماء فوجدناها مُلئت حرسًا قويًا من الملائكة وشُهبًا مُحرِقة من جهتها ، وأنا كنا– قبل اليوم – نقعد من السماء مقاعد لاستراق أخبار السماء ، فمَن يرد الاستماع الآن يجد له شهابًا مترصدًا ينقَضُّ عليه فيهلكه ، وأنا لا نعلم أعذاب أريد بمَن في الأرض من حراسة السماء لمنع الاستماع؟ أم أراد بهم ربهم خيرًا وهدى؟[1].

﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ۝١١ وَأَنَّا ظَنَنَّآ

١) المنتخب في تفسير القرآن الكريم، ص ٨٥٨ ، ٨٥٩.

أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ۝١٢ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ۝١٣ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ۝١٤ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ۝١٥ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ۝١٦ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ۝١٧ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ۝١٨﴾

وأنا منا الأبرار المتقون ، ومنَّا دون ذلك ، وهم قوم مقتصدون في الصلاح ، كنا ذوي مذاهب متفرقة ، وأنا أيقنا أن لن نعجز الله ـ أينما كنا في الأرض ـ ولن نعجزه هاربين من قضائه نحو السماء[1]،

١) قوله تعالى:{ فِي الْأَرْضِ} إشارة إلى عدم قدرتهم على النجاة من قضائه– تعالى– مهما حاولوا اللجوء إلى أية بقعة من بقاعها ، ففي أي بقعة منها يكونون، يدركهم قضاؤه وقدره ، وقوله تعالى: {وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا} إشارة إلى أن هربهم إلى السماء لا إلى الأرض ، لن ينجيهم مما يريده– سبحانه– بهم ، فالمقصود بالآية الكريمة: إظهار عجزهم المطلق أمام قدرة الله– تعالى– وعدم تمكنهم من الهرب من قضائه، سواء ألجأوا إلى الأرض، أم إلى السماء. التفسير الوسيط للدكتور/ سيد طنطاوي، ١٥/ ١٣٧.

وأنا لما سمعنا القرآن آمنا به ، فمن يؤمن بربه فلا يخاف نقصًا من حسنة، ولا ظلمًا يلحقه بزيادة في سيئاته، وأنا منا المسلمون المِقرّون بالحق، ومنا الحائدون عن طريق الهدى، فمن أسلم فأولئك قصدوا سبيل الحق مجتهدين في اختياره ، وأما الحائدون عن طريق الإسلام فكانوا لجهنم وقودًا ، وأنه لو أطاع الإنس والجن ما يدعوهم إليه الإسلام ولم يحيدوا عنه؛ لأعطاهم الله الماء الكثير الذي يحتاجون إليه، لنختبرهم فيه كيف يشكرون لله نعمه عليهم ، ومَن يُعرض عن عبادة ربه يدخله عذابًا شاقًا لا يطيقه ، وأُوحي إليَّ أن المساجد لله ـ وحده ـ فلا تدعوا فيها غيره ، وأخلصوا لعبادته وحده[1].

﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيۡهِ لِبَدٗا ﴿١٩﴾ قُلۡ إِنَّمَآ أَدۡعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِهِۦٓ أَحَدٗا ﴿٢٠﴾ قُلۡ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا رَشَدٗا ﴿٢١﴾ قُلۡ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٞ وَلَنۡ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦۚ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾

١) المنتخب في تفسير القرآن الكريم، ص ٨٥٩ ، ٨٦٠.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعۡلَمُونَ مَنۡ أَضۡعَفُ نَاصِرٗا وَأَقَلُّ عَدَدٗا ﴿٢٤﴾ قُلۡ إِنۡ أَدۡرِيٓ أَقَرِيبٞ مَّا تُوعَدُونَ أَمۡ يَجۡعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ﴿٢٧﴾ لِّيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا ﴿٢٨﴾﴾

وأُوحي إليَّ أنه لما قام عبد الله – محمد صلى الله عليه وسلم- في صلاته يعبد الله كاد الجن يكونون عليه جماعات ملتفة ، تعجبًا مما رأوه وسمعوه ، قل: إنما أعبد ربي ـ وحده ـ ولا أُشرِك به في العبادة أحدًا، قل: إني لا أملك لكم دفع ضر ، ولا تحصيل هداية ونفع، قل: إني لن يدفع عني عذاب الله أحد إن عصيته، ولن أجد من دونه ملجأ أفر إليه من عذابه ، لكن أملك تبليغًا عن الله ورسالاته التي بعثني بها ، ومن يعص الله ورسوله فأعرَضَ عن دين الله ؛ فإن له نار جهنم باقيًا فيها أبدًا ؛ حتى إذا أبصروا ما يوعدونه من العذاب فسيعلمون- عند حلوله بهم- مَن أضعف ناصرًا وأقل عددًا؛ أهم أم المؤمنون؟ قل: ما أدري- أيها الكافرون- أقريب ما توعدون من

العذاب ، أم يجعل له ربي غاية بعيدة؟! هو عالم الغيب ، فلا يطلع على غيبه أحدٌ من خلقه ، إلا رسولًا ارتضاه لعلم بعض الغيب، فإنه يدخل من بين يدي الرسول ومن خلفه حفظة من الملائكة تحول بينه وبين الوساوس، ليعلم الله ـ وعلمه كائن ومحيط ـ أن الأنبياء قد أبلغوا رسالات ربهم، وقد علم تفصيلًا بما عندهم، وعلم عدد الموجودات كلها، لا يغيب عنه شيء منها[1].

من مقاصد السورة الكريمة :

١- بيان عمومية رسالة النبي (صلى الله عليه وسلم) ؛ فالسورة الكريمة قد أعطتنا صورة واضحة عن عالم الجن ، فهي تحكي أنهم أعجبوا بالقرآن الكريم ، وأن منهم الصالح ومنهم غير الصالح، وأنهم لا يعلمون الغيب ، وأنهم لا يملكون النفع لأحد ، وأنهم خاضعون لقضاء الله– تعالى– فيهم[2].

٢-إظهار شرف النبي (صلى الله عليه وسلم) ، حيث ليَّن له قلوب

---

١) المنتخب في تفسير القرآن الكريم ، ص٨٦١.

٢) التفسير الوسيط للأستاذ الدكتور/ سيد طنطاوي، ١٥/ ١٢٧.

الإنس والجن ، فصار مالكًا لقلوب المطيعين وغيرهم[1].

٣-التأكيد على أن الذين يعوذون بالجن ، ويركنون إليهم ، والذين ينكرون البعث ، أو يرتابون فيه ، لا يفلتون من سلطان الله تعالى، ويصير عملهم هباءً.

٤-بيان أن للجن ثوابًا وعقابًا ، وأن الله تعالى أوعد قاسطيهم ووعد مسلميهم ، وكفى به وعدًا أن قال تعالى:{ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا}؛ فذكر سبب الثواب ، والله ـ تعالى ـ يثيب الراشد[2].

٥- التأكيد على أن الغيب كله لله تعالى ، ولا يُطلع على غيبه أحدًا من خلقه ، إلا من اختار لرسالته ، فإنه سبحانه وتعالى يُطلعه على ما يشاء من الغيب ؛ ليكون دلالة على صدق دعوته ، وحقِّية نبوته[3].

٦-بيان ما أُمر النبي (صلى الله عليه وسلم) بتبليغه إلى الخلق ؛ ككونه

١) راجع: مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، ٣/ ١٢٧.

٢) تفسير الزمخشري، ٤/ ٦٨٢ بتصرف.

٣) بحر العلوم (تفسير السمرقندي)، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد السمرقندي، ٣/ ٥٠٨.

لا يشرك بربه أحدًا ، وأنه لا يملك لنفسه ضرًّا ولا نفعًا ، وأنه لا يمنعه أحد من الله إن عصاه ، وأنه (صلى الله عليه وسلم) لا يدري متى يكون وقت عذابهم ، فالعلم لله وحده[1].

* * *

١) راجع: تفسير المراغي، ٢٩/ ١٠٨.

سورة المزمل

(مكية وآياتها عشرون آية)

معاني المفردات :

(المزّمل) أي: المتلفّف بثيابه، والمراد به النبي (صلى الله عليه وسلم)، (وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا) أي: اقرأه بتمهّل، وتبْيين حروف، (إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ) أي: العبادة التي تنشأ به وتحدث، (هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا) أي: ثباتًا للقدَم، ورسوخًا في العبادة ، (وَأَقْوَمُ قِيلًا) أي: أثبتُ قِراءة لحضور القلب فيها[1].

(سَبْحًا) أي: تصرّفًا وتقلّبًا في مُهمّاتك، (وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا) أي: انقطع إلى عبادته تعالى، واستغرق في مراقبته.

(وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا) والهجر الجميل هو الذي لا أذى معه، وليس فيه لدد أو فجور في الخصومة[2]، أي: اعتزلهم وابتعد عنهم، وقاطعهم مقاطعـة حسنة ، بحيث لا تقابل السيئة بمثلهـا ، ولا تزد

١) تفسير البيضاوي، ٥/ ٤٠٦، ٤٠٧، المحرر الوجيز، ٥/ ٣٨٩.

٢) الكمال والجمال في القرآن الكريم ، ص٥٩.

على هجرهم بأن تسبهم ، أو ترميهم بالقبيح من القول[1].

(وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ) دعني وإياهم ، وكل أمرهم، فهو وعيد لهم، لكنه إبلاغ بمعنى لا تشغل بهم فكرًا، وكِلْهُم إليَّ، (أُولِي النَّعْمَةِ) أرباب التنعم والترف ، (إِنَّ لَدَيْنا أَنْكـالًا) القيـد الثقيـل، (وَطَعـامًا ذَا غُصَّـةٍ) طعـامًا ينشـب في الحلـق كالضـريع والزقوم[2].

(تَرْجُفُ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ) أي: تتحرك حركة شديدة ، (وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا) رملًا مجتمعًا ، (مَّهِيلًا) سائلًا بعد اجتماعه [3].

(رَسُولًا) يعني محمدًا (صلى الله عليه وسلم) ، (كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا) يعني موسى (عليه السلام) ، (فَأَخَذْنَـاهُ أَخْذًا وَبِيلًا) شديدًا غليظًا[4].

---

١) كلمات القرآن تفسير وبيان ، ص١٢٢، التفسير الوسيط للدكتور/ سيد طنطاوي ١٥/ ١٦٠.

٢) تفسير البيضاوي، ٥/ ٤٠٦، ٤٠٧، المحرر الوجيز، ٥/ ٣٨٩.

٣) تفسير النسفي، ٤/ ٢٣٧، تفسير الرازي، ٣٠/ ٦٩٣.

٤) تفسير النسفي، ٤/ ٢٣٧، تفسير الرازي، ٣٠/ ٦٩٣.

(السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ) مُتشققة بشدة ذلك اليوم ومُتصدعة ، (اتَّخَذَ إِلَى رَبِّـهِ سَبِيـلًا) أي : يتقرب إليه بسلوك التقـوى والاشتغال بالطاعة[1].

(أَدْنَى) أقل ، (والله يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ) أي:لا يقدر على تقدير الليل والنهار ، ولا يعلم مقادير ساعاتهمـا إلا الله وحده ، (عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ) لن تُطيقوا قيامه على هذه المقادير إلا بشدة ومشقة ، وفي ذلك حرج ، (فَتَابَ عَلَيْكُمْ) فخفف عنكم ، وأسقط فرض قيام الليل ، (وآخرون يَضْرِبُونَ فِى الأرض) يسيرون في الأرض ؛ ليقـوموا بالأشغـال التي تدعو إليهـا ضـرورة العيش من تجـارة وصناعة وحراثة ، وغير ذلك[2].

(وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الله) سوّى بين المجاهد والمكتسب ؛ لأن كسب الحلال جهـاد ، (وَمَا تُقَدّمُواْ لأَنْفُسِكُم مّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ)

---

١) تفسير البيضاوي، ٥/ ٢٥٧، المحرر الوجيز، ٥/ ٣٩٠.

٢) التحرير والتنوير، ٢٩/ ٢٨٦، التفسير الوسيط للدكتور/ سيد طنطاوي، ١٥/ ١٦٩ .

أي: ثوابه ، (وَأَعْظَمَ أجرًا) وأجزل ثوابًا[1].

في رحاب السورة الكريمة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ۝٦ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ۝٧ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ۝٨ رَّبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۝٩ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ۝١٠ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ۝١١﴾

يا أيها المتلفف بثيابه ، قُمْ الليل مصليًا إلا قليلًا ، قُمْ نصفَ الليل ، أو انقص من النصف قليلًا حتى تصل إلى الثلث ، أو زد على النصف حتى تصل إلى الثلثين ، واقرأ القرآن متمهلًا مبينًا للحروف والوقوف ، قراءة سالمة من أي نقصان ، إنا سنلقي عليك- أيها الرسول الكريم - قرآنًا مشتملًا على الأوامر والنواهي والتكاليف الشاقة ، وإن العبادة التي تكون بالليل هي أشد رسوخًا

١) تفسير النسفي، ٤/ ٤٤٩، التحرير والتنوير، ٢٩/ ٢٨٦.

في القلب ، وأبْيَن قولًا؛ لما يكون بالليل من هدوء وصفاء ، وإن لك في النهار تقلبًا في مصالحك ، واشتغالًا بأمور الرسالة ، ففرِّغ نفسك ليلًا لعبادة ربك ، وأَجْر على لسانك ذكر اسم مَن تعهدك بالخلق والتربية ، وانقطع لعبادته من كل شيء انقطاعًا تامًّا ، هو مالك المشرق والمغرب ، لا معبود بحق إلا هو ، فاتخذه كافيًا لأمورك ، كفيلًا بما وعدك ، واصبر على ما يقولون من الأباطيل، وجانبهم بقلبك ، وخالفهم في أفعالهم ، مع الإغضاء عنهم، وترك الانتقام منهم ، واتركني والمكذبين ، أصحاب النعيم ، وأمهلهم إمهالًا قصير الأمد[1].

﴿ إِنَّ لَدَيۡنَآ أَنكَالٗا وَجَحِيمٗا ﴿١٢﴾ وَطَعَامٗا ذَا غُصَّةٖ وَعَذَابًا أَلِيمٗا ﴿١٣﴾ يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلۡجِبَالُ كَثِيبٗا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ رَسُولٗا شَٰهِدًا عَلَيۡكُمۡ كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولٗا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذۡنَٰهُ أَخۡذٗا وَبِيلٗا ﴿١٦﴾ فَكَيۡفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرۡتُمۡ يَوۡمٗا يَجۡعَلُ ٱلۡوِلۡدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ٱلسَّمَآءُ

---

١) المنتخب في تفسير القرآن الكريم، ص٨٦٢، ٨٦٣.

مُنفَطِرٌۢ بِهِۦۚ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَفۡعُولًا ۝١٨ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ۝١٩﴾

إن لدينا للمكذبين في الآخرة قيودًا ثقالًا، ونارًا محرقة ، وطعامًا ينشب في الحلق لا يستساغ ، وعذابًا شديد الإيلام لا يطاق ، يوم تتحرك الأرض والجبال حركة شديدة ، وتصير الجبال رملًا مجتمعًا متناثرًا بعد أن كانت حجارة صلبة متماسكة ، إنا أرسلنا إليكم ـ محمدًا (صلى الله عليه وسلم) ـ رسولًا يشهد عليكم يوم القيامة بالإجابة أوالامتناع ، كما أرسلنا موسى إلى فرعون رسولًا ، فعصى فرعون الرسول ؛ فأخذناه أخذًا ثقيلًا شديدًا ، فكيف تدفعون عنكم- إن أنكرتم- عذاب يوم يجعل الشُّبان لهوله شيوخًا ضعافًا، السماء في قوتها وعظمتها شيء منشق في ذلك اليوم لشدته وهوله ، وكان وعد الله واقعًا لا محالة ، وإن هذه الآيات الناطقة بالوعد موعظة ؛ فمَن شاء الانتفاع بها اتخذ إلى ربه سبيلًا بالتقوى والخشية[1].

١) المنتخب في تفسير القرآن الكريم ، ص٨٦٣.

﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْۖ فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِۖ فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُۚ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًاۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًاۚ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ ﴾

إن ربك يعلم أنك تقوم يا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أقل من ثلثي الليل أحيانًا ، وتقوم نصفه وثلثه أحيانًا أخرى ، ويقوم طائفة من أصحابك كما تقوم ، ولا يقدر على تقدير الليل والنهار ، وضبط ساعاتها إلا الله ، علم أنه لا يمكنكم إحصاء كل جزء من أجزاء الليل والنهار ؛ فخفف عنكم ، فاقرءوا في الصلاة ما تيسر من القرآن ، علم أنه سيكون منكم مرضى يشق عليهم قيام الليل ، وآخرون يتنقلون في الأرض للتجارة والعمل يطلبون رزق الله، وآخرون يجاهدون في سبيل الله لإعلاء كلمته ، فاقرءوا ما تيسر من القرآن ، وواظبوا على فرائض الصلاة ، وأعطوا الزكاة الواجبة

عليكم ، وأقرضوا الله قرضًا حسنًا - بإعطاء الفقراء نافلة فوق ما وجب لهم - وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوا ثوابه عند الله هو خيرًا مما خلفتم وتركتم ، وأجزل ثوابًا ، واستغفروا الله من فعل السيئات والتقصير في الحسنات ، إن الله غفور لذنوب المؤمنين ، رحيم بهم[1].

من مقاصد السورة الكريمة :

١- بيان أمر الله تعالى لرسوله (صلى الله عليه وسلم) بأشياء في السورة ، منها :

(أ) أن يقوم من الليل ثلثه ، أو نصفه ، أو ثلثيه .

(ب) أن يقرأ القرآن بتؤدة وتمهّل .

(ج) أن يذكر الله تعالى ليلًا ونهارًا بالتحميد والتسبيح والصلاة، وأن يجرد نفسه عما سواه(٢).

٢- بيان أن للرسول (صلى الله عليه وسلم) أسماء وصفات عديدة،

---

١) المنتخب في تفسير القرآن الكريم، ص٨٦٤.

٢) تفسير المراغي ، ٢٩/ ١٢٣.

وقد ناداه الله ـ تعالى ـ في صدر السورة بصفة من هذه الصفات، وهي المزمل.

٣- التنبيه بالجد للكسلان المتقاعس الذي لا ينهض في عظائم الأمور وكفايات الخطوب ، ولا يُحمِّل نفسه المشاق والمتاعب [١].

٤- بيان موطنٍ من مواطن الكمال والجمال المعنوي في القرآن الكريم ، فقد تحدثت السورة الكريمة عن الهجر الجميل ، وهو الذي لا أذى معه ، وليس فيه لَددٌ أو فجور في الخصومة [٢].

٥-إبراز ما في السورة الكريمة من المعاني الزاخرة بالحديث الذي يثبت قلب النبي (صلى الله عليه وسلم) ، ويعلي من شأن القرآن الكريم ، ويرشد المؤمنين إلى ما يُسعدهم ويُصلح بالهم ، ويُهدد الكافرين بسوء المصير إذا ما استمروا في طغيانهم ، ويذكّر الناس بأهوال يوم القيامة[٣].

---

١) تفسير الزمخشري، ٤/ ٦٣٥.

٢) الكمال والجمال في القرآن الكريم، ص٥٩.

٣) التفسير الوسيط للدكتور/ سيد طنطاوي، ١٥/ ١٥٠.

٦-الإعلام بأن محاسن الأعمال تدفع الأخطار والأوحال ، وتخفف الأحمال والأثقال ، لا سيما الوقوف بين يدي الملك المتعال ، والتجرد في خدمته في ظلمات الليل ، فهو المنعم سبحانه - بقبول الأفعال والأقوال - والمُعين الأعظم على الصبر والاحتمال ، لما يرد من الكدورات في دار الزوال ، والقُلْعة[١] والارتحال[٢].

٧- بيان حكم ذوي الأعذار الذين لا يستطيعون القيام بالليل من مرض أوضرب في الأرض ابتغاء الرزق من فضل الله ؛ فهؤلاء إذا لم يناموا فى الليل تتوالى عليهم أسباب المشقة ، ويظهر عليهم آثار الجهد ؛ فخفف عنهم من قيام الليل[٣].

* * *

---

١) القُلْعَةُ: ما لا يدوم من المال ؛ والمراد الدنيا دارُ قُلْعة ، أي دار تحوّل وارتحال. المعجم المحيط ، أديب اللجمي- شحادة الخوري ، البشير بن سلامة ، نبيلة الرزاز، ص١٣٣٣، بدون.

٢) راجع/ مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، ٣/ ١٣١.

٣) تفسير المراغي ، ٢٩/ ١٢١.

سورة المدثر

(مكية وآياتها ست وخمسون آية)

سبب النزول:

عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْن عَبْدِ الرَّحْمَنِ[1]، أَنَّ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ الله الْأَنْصَارِيَّ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) كَانَ يُحَدِّثُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وَهُوَ يُحَدِّثُ عَنْ فَتْرَةِ الْوَحْيِ- قَالَ فِي حَدِيثِهِ- : «فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ جَالِسًا عَلَى كُرْسِيٍّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ».

قَالَ رَسُولُ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : " فَجُئِثْتُ مِنْهُ فَرَقًا ، فَرَجَعْتُ ، فَقُلْتُ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي ، فَدَثَّرُونِي ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَبَارَكَ

---

1) هو: أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري، ابن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب القرشي، الزهري، الحافظ أحد أئمة الحديث، أحد الأعلام بالمدينة الذين ذاع صيتهم علمًا وتقوى، قيل: اسمه عبد الله، وقيل: إسماعيل، توفي أبو سلمة بالمدينة، سنة أربع وتسعين، وقيل: سنة أربع ومائة، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة. سير أعلام النبلاء، ٤/ ٢٨٧.

وَتَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ* قُمْ فَأَنْذِرْ* وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ* وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ }- والرُّجْزَ: هِيَ الْأَوْثَانُ- قَالَ: ثُمَّ تَتَابَعَ الْوَحْيُ[1] .

وعن البراء بن عازب (رضي الله عنه) أن رهطًا من اليهود سألوا رجلًا من أصحاب النبي (صلى الله عليه وسلم) عن خزنة جهنم، فجاء فأخبر النبي (صلى الله عليه وسلم)، فنزل عليه ساعتئذ ، قوله تعالى :{عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَر}الآية[2].

وعن السُّدي[3] قال: لما نزلت عليها تسعة عشر، قال رجل من قريش يدعى أبا الأشد[4]: يا معشر قريش لا يهولنكم التسعة عشر

---

١) متفق عليه: صحيح البخاري ، كتاب التفسير، باب تفسير سورة المدثر، حديث رقم: ٤٦٣٨، صحيح مسلم: كتاب الإيمان ، باب بدء الوحي إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، حديث رقم: ١٦١، واللفظ له ، لباب النقول ، ص٢٠٥، ٢٠٦ .

٢) تفسير ابن أبي حاتم، ١٠/ ٣٣٨٤.

٣) هو: إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة، الإمام، المفسر، أبو محمد الحجازي، ثم الكوفي، الأعور، السدي، أحد موالي قريش، مات سنة بضع وعشرين ومائة. سير أعلام النبلاء، ٥/ ٢٦٤.تفسير ابن أبي حاتم، ١٠/ ٣٣٨٤.

٤) اسمه: كلدة بن أسيد بن خلف. التفسير الوسيط للأستاذ الدكتور/ سيد طنطاوي، ١٥/ ١٨٣.

أنا أدفع عنكم بمنكبي الأيمن عشرة ، وبمنكبي الأيسر التسعة ، فأنزل الله تعالى:{ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً }الآية[1].

وعن السدي قال: قالوا: لئن كان محمد صادقًا ، فليصبح تحت رأس كل رجل منا صحيفة فيها براءة وأمنة من النار ، فنزلت:{ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةً}[2].

معاني المفردات :

(يَـا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ) أي: المتلفف بثيابه ، (قُمْ) من مضجعك ، أو قُمْ قيام عَزْم وتصميم ، (فَأَنْذِرْ) فحذِّر قومك ، (وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ) واختص ربك بالتكبير وهو التعظيم أي: لا يكبر في عينك غيره تعالى ، (وَالرُّجْزَ) أي: الأوثان ، (فَاهْجُرْ) أي: أُثبت على هجره ؛ لأنه كان (صلى الله عليه وسلم) بريئًا منه ، (وَلا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ) أي: لا تعط مستكبرًا مُرائيًا بما تعطيه ، (فَإِذَا نُقِرَ فِى النَّاقُورِ) نفخ في الصور، فيوم النقر يوم عسير[3].

---

١) تفسير ابن أبي حاتم، ١٠/ ٣٣٨٤.

٢) لباب النقول، ص٢٠٥، ٢٠٦.

٣) تفسير النسفي، ٤/ ٢٣٨.

(ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا) لا تهتم لشأنه فإني أكفيك أمره ، أي: الوليد بن المغيرة ، (وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا) دائمًا لا ينقطع عنه، (وَبَنِينَ شُهُودًا) حضورًا معه بمكَّة ، وكانوا عشرةً ، (ومَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا) بسطت له في العيش والمال بسطًا، (ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ) يرجو أن أزيده مالًا وولدًا[1].

(كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا) ردع له عن الطمع ، قيل: ما زال بعد نزول هذه الآية في نقصان ماله حتى هلك، (سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا): سأغشيه عقبة شاقة المصعد ، وهو مَثَلٌ لما يلقى من الشدائد ، (إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ) والمعنى فكر فيما يخيل طعنًا في القرآن ، وقدر في نفسه ما يقول فيه ، (ثُمَّ نَظَرَ) أي: في أمر القرآن مرة بعد أخرى (ثم عَبسَ) قطب وجهه ، لما لم يجد فيه مطعنًا ، ولم يدر ما يقول ، أو نظر إلى

١) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للواحدي ، ١/ ١١٤٩، ويقول ابن عطية في تفسيره:" ولا خلاف بين المفسرين أن هذه الآية نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومي، فروي أنه كان يلقب بالوحيد؛ لأنه لا نظير له في ماله وشرفه في بيته، وقيل: المعنى خلقته وحدي، و كان له عشرة من الولد، والمعنى بسطت له العيش بسطاً". تفسير المحرر الوجيز، ٥/ ٣٩٣.

رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وقطب في وجهه[1]، (وبَسَر) أي: اشتدّ في العبوس وكُلُوح الوَجْه ، (سِحْرٌ يُؤثر) أي: يُروى ويُتعلّمُ من السَّحرة ، (سَأُصْلِيهِ سَقَرَ) أي: سأدْخِلُه جهنّم ، (لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ) أي: مُسودّة للجلود مُحْرِقَة لها[2].

(وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَـابَ النَّارِ) أي: خزنتها ، (إِلا مَلَائكَةً) هم خلاف جنس المعذبين ، فلا تأخذهم الرأفة ، وهم يطيعون أمر الله تعالى ، (وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ) تسعة عشر ، (إِلا فِتْنَةً) أي : لابتلاء واختبار ، (لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَـابَ) قيل: إن عدتهم تسعة عشر مذكورة عندهم ، فإذا سمعوا بمثلها في القرآن أيقنوا أنه منزل من الله، (فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ) نفاق[3] ، (وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ) أضاء ، (إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ) أي : لإحدى البلايا والأمور الكبيرة ، والدواهي الطامات (أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّـرَ) أي: أن يتقدم إلى الإيمـان والخـير ، أو

---

١) تفسير البيضاوي، ٥/ ٤١٣، ٤١٤.

٢) كلمات القرآن تفسير وبيان، ص١٢٣.

٣) تفسير النسفي، ٤/ ٢٤٠ ، ٢٤١.

يتأخر عن الإيمـان والخـير[1].

(مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ) سقر اسم من أسمـاء جهنم من سقرته النار إذا لوحته ، والمعنى ما أدخلكم فيها [2]، (وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ) أي: نشرعُ في الباطل لا نُبالي به ، (وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ) أي: بيَوْمِ البعْثِ والحِسَاب والجزاء ، (حُمُرٌ مُسْتَنفِرَة) أي: حُمُرٌ وَحْشِيّة ، شديدة النّفَار، (فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ) أي: أسد ، أو الرّماة[3].

في رحاب السورة الكريمة :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ۝٧ فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ۝٨ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝٩ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ۝١٠ ﴾

يا أيها المتدثر بثيابه ، قم من مضجعك ، فحذِّر الناس من عذاب الله إن لم يؤمنوا ، وخُصَّ ربك – وحده – بالتعظيم ، وثيابك فطهرها

---

١) التحرير والتنوير، ٢٩/ ٣٢٣، التفسير الوسيط للدكتور/ سيد طنطاوي، ١٥/ ١٨٨.

٢) تفسير النسفي، ٤/ ٢٤١، ٢٤٢، تفسير البيضاوي ، ٥/ ٤١٤.

٣) كلمات القرآن تفسير وبيان، ص١٢٣.

بالماء من النجاسة ، والعذاب فاترك ، أي: دُم على هَجر ما يوصل إلى العذاب ، ولا تعط أحدًا مستكثرًا لما تعطيه إيَّاه ، ولمرضاة ربك فاصبر على الأوامر والنـواهي ، وكل ما فيـه جهـد ومشـقة ، فإذا نفخ في الصور ، فذلك الوقت يومئذ شديد على الكافرين ، غير سهل أن يَخلصوا مما هم فيه من مناقشة الحساب ، وغيره من الأهوال[1].

﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِـَٔايَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي

---

١) المنتخب في تفسير القرآن الكريم، ص٨٦٥.

مَن يَشَآءُۚ وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡبَشَرِ ﴿٣١﴾

اتركني وحدى مع مَن خلقته ، فإني أكفيك أمره ، جعلت له مالًا مبسوطًا واسعًا غير منقطع ، وبنين حضورًا معه ، وبسطت له الجاه والرياسة بسطة تامة ، ثم يطمع أن أزيده في ماله وبنيه وجاهه بدون شكر! ردعًا له عن طمعه ، إنه كان للقرآن معاندًا مكذبًا ، سأُغشيه عقبة شاقة ، لا يستطيع اقتحامها ، إنه فكَّر في نفسه وهيَّأ ما يقوله من الطعن في القرآن ، فاستحق بذلك الهلاك، كيف هيَّأ هذا الطعن؟ ثم استحق الهلاك ؛ لأنه أعد هذا الطعن ، ثم نظر في وجوه الناس ، ثم قطَّب وجهه وزاد في كلوحه ، ثم أعرض عن الحق وتعاظم أن يعترف به ، فقال: ما هذا إلا سحر ينقل عن الأولين ، ما هذا إلا قول الخلق تعلمه محمد (صلى الله عليه وسلم) وادَّعى أنه من عند الله ، فسيدخله جهنم ؛ ليحترق بها ، وما أدراك ما جهنم؟ لا تبقي لحمًا ولا تترك عظمًا إلا أحرقته ، مُسوِّدة لأعالي الجلد ، عليها تسعة عشر يَلُون أمرها وتعذيب أهلها ، وما جعلنا خزنة النار إلا ملائكة ، وما جعلنا عدتهم تسعة عشر إلا اختبارًا

للذين كفروا ، ليحصل اليقين للذين أوتوا الكتاب بأن ما يقوله القرآن عن خَزنة جهنم إنما هو حق من الله تعالى ، حيث وافق ذلك ما في كتبهم ، ويزداد الذين آمنوا بمحمد إيمانًا ، ولا يشك في ذلك الذين أعطوا الكتاب والمؤمنون ، وليقول الذين في قلوبهم نفاق والكافرون: ما الذي أراده الله بهذا العدد المستغرب استغراب المثل؟ بمثل ذلك المذكور من الإضلال والهدى يضل الله الكافرين ويهدي المؤمنين ، وما يعلم جُنود ربك لفرط كثرتهم إلا هو ، سبحانه وتعالى، وما سقر إلا تذكرة للبشر وتخويف لهم[1].

﴿ كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ ﴾

ردعًا لمن ينذر بها ولم يخف ، ثم أقسم سبحانه بالقمر ، وبالليل إذا ذهب ، وبالصبح إذا أضاء وانكشف ، إن سقر لأعظم الدواهي الكبرى ، إنذارًا وتخويفًـا ، فهي إنذار للبشر لَمن شاء منكم أن يتقدم

---

١) المنتخب في تفسير القرآن الكريم ، ص٨٦٥ ، ٨٦٦.

إلى الخير، أو يتأخر عنه[1].

﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا بَل لَّا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾ ﴾

كل نفس بما عملت مأخوذة إلا المسلمين الذين فكُّوا رقابهم بالطاعة ، هم في جنات لا يُدرك وصفها، يسأل بعضهم بعضًا عن المجرمين ، وقد سألوهم عن حالهم، ما أدخلكم في سقر؟ قالوا: لم نك من المصلين كما كان يصلى المسلمون ، ولم نك نطعم المسكين كما كان يطعم المسلمون ، وكنا نندفع وننغمس في الباطل والزور

---

١) المنتخب في تفسير القرآن الكريم، ص٨٦٦، ٨٦٧.

مع الخائضين فيه ، وكنا نكذِّب بيوم الحساب والجزاء حتى أتانا الموت، فما تغيثهم شفاعة الشافعين من الملائكة والنبيين والصالحين، فما لهم عن العظة بالقرآن منصرفين؟! كأنهم حمر شديدة النفار فرَّت من مطارديها، بل يريد كل امرئ منهم أن يُؤتى صُحفًا من السماء واضحة مكشوفة تثبت صدْق الرسول ، (صلى الله عليه وسلم)، فردعًا لهم عما أرادوا ، بل هم لا يخافون الآخرة ، فأعرضوا عن التذكرة، وتفننوا في طلب الآيات ، حقًّا إن القرآن تذكرة بليغة كافية، فمن شاء أن يذكره ولا ينساه فعل ، وما يذكرون إلا بمشيئة الله، هو أهل لأن يُتقى، وأهل لأن يَغْفر لَمَن اتقاه[1].

من مقاصد السورة الكريمة :

١- الدلالة على عظمـة المدثـر ، المأمور بالإنـذار (صلى الله عليه وسلم) ، لعظمـة مرسله سبحانـه ، وتمام اقتـداره بأنه كشف له العلـــوم[2].

---

١) المنتخب في تفسير القرآن الكريم، ص٨٦٧.

٢) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، ٣/ ١٣٩.

٢- بيان تكريم النبي (صلى الله عليه وسلم)، وأمره بتبليغ ما أوحاه الله تعالى إليه إلى الناس ، وطمأنة لقلبه ، وتهديد أعدائه بأشد ألوان العقاب[1].

٣- إيضاح أن الجد والاجتهاد في الإنذار ، بدار البوار ، لأهل الاستكبار، وإثبات البعث في أنفس المكذبين ، والإِشارة بالبشارة لأهل الأذكار ، بحكم العزيز الغفار[2].

٤- التأكيد على حُسْن عاقبة المؤمنين ، وسُوء عاقبة المكذبين ، والرد عليهم بما يبطل دعواهم[3].

٥-التنويه بأن يصبر (صلى الله عليه وسلم) على أذاهم ، فبين أيديهم يوم عسير يلقون فيه عاقبة أذاهم ، وتلقى فيه عاقبة صبرك عليهم[4].

٦- بيان أن كل نفس مرهونة بعملها وفعلها ، إلا أصحاب اليمين الذين فروا إلى الله تعالى ؛ فائتمروا بأوامره ، وانتهوا بنواهيه ، فإنهم لا

---

١) التفسير الوسيط للدكتور/ سيد طنطاوي، ١٥/ ١٧٢.

٢) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، ٣/ ١٣٥.

٣) التفسير الوسيط للأستاذ الدكتور/ سيد طنطاوي، ١٥/ ١٧٢.

٤) تفسير الزمخشري، ٤/ ٦٤٦.

يرتهنـون بأعمالهـم ؛ بل يرحمهم الله تعالى ، فيقبل حسناتهم ، ويتجاوز عن سيئاتهم ، وهم في جنات النعيم[1].

٧- التأكيد على أن القرآن الكريم تذكرة من الله تعالى لخلقه ذكّرهم به، فليس لأحدٍ أن يعتذر بأنه لم يجد مذكّرًا ولا معرّفًا [2].

❊ ❊ ❊

---

١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين إبراهيم بن عمر بن حسن الرُّبَاط بن علي بن أبي بكر البقاعي ، ٨/ ٢٣٥، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٢) تفسير المراغي، ٢٩/ ١٤٢.

سورة القيامة

(مكية وآياتها أربعون آية)

سبب النزول :

قوله (عز وجل) : **(أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ)** نزلت في عدي بن ربيعة ، وذلك : أنه أتى النبي (صلى الله عليه وسلم)، فقال: حدثني عن يوم القيامة متى يكون؟ وكيف يكون أمرها وحالها؟ فأخبره النبي (صلى الله عليه وسلم) بذلك ، فقال : لو عاينت ذلك اليوم لم أصدقك يا محمد ، ولم أؤمن به ، أَوَ يجمع الله هذه العظام؟! فأنزل الله تعالى هذه الآية[1].

وورد عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: لما نزلت : **(عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ)** قال أبو جهل لقريش: ثكلتكم أمهاتكم ، يخبركم ابن أبي كبشة [2] أن خزنة جهنم تسعة عشر ، وأنتم

---

١) أسباب النزول للواحدي، ص٤٦٩.

٢) اختلف في السبب الذي كانت كفار قريش من أجله تقول للنبي(صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ابن أبي كبشة، فقيل: إنه كَانَ له جد من قبل أمه وهو أبو قيلة، وقيلة أم=

الدهم[1]، أفيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا برجل من خزنة جهنم ، فأوحى الله إلى رسوله أن يأتي أبا جهل فيقول له : (أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى * ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى)[2].

وعن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال : كان رسول الله (صلى

= وهب بْن عبد مناف بن زهرة، وهو من بني غبشان من خزاعة، يدعى بأبي كبشة، كَانَ يعبد الشعرى، ولم يكن أحد من العرب يعبد الشعرى غيره خالف العرب في ذلك ، فلما جاءهم النَّبِيّ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بخلاف ما كانت العرب عليه قالوا : هذا ابن أبي كبشة ، وقد قيل: بل نسب إلى جد أبي أمه آمنة بنت وهب الزهرية ، كان يدعى بأبي كبشة ، وقيل: إن عمرو بن زيد بن لبيد النجاري من بني النجار ، وَهُوَ والد سلمى أم عبد المطلب ، كان يدعى بأبي كبشة. (الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي ، ٤/ ١٧٣٨، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م ، تفسير البيضاوي، ٥/ ١٦٢، التفسير الوسيط للأستاذ الدكتور/ سيد طنطاوي، ١٤/ ٨٧) .

١) الدَّهْمُ: الجماعة الكثيرة . تهذيب اللغة: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، تحقيق/ محمد عوض مرعب، ٦/ ١٢٤، ط دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ٢٠٠١م.

٢) لباب النقول، ص ٢٠٧.

الله عليه وسلم) إذا نزل عليه الوحي يحرك به لسانه ، يـريـد أن يحفظه ، فأنزل الله تعالى (لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ) الآية[1].

معاني المفردات :

(لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَـامَةِ) أي : أقسم ، (وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ) أي: النفس المتقية التي تلوم صاحبها على التقصير، وجواب القسم محذوف ، أي: لتبعثن ، (أَيَحْسَبُ الانسَـانُ) أي: المنكر للبعث ، (نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ) نخلقه ونحييه بعد الموت ، والبنان هي الأصابع ، (لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ) أي: يدوم على فجوره في المستقبل من الزمان ، (أَيَّانَ) متى؟[2]

(فإذا بَرِقَ البصَرُ) شَخَص فلا يُطْرف ، (وَخَسَفَ الْقَمَرُ) الكسوف ذهاب بعض الضوء ، والخسوف ذهاب جميعه ، (أَيْنَ الْمَفَرُّ) أين موضع الفرار؟ (كَلَّا) زجر، يقال للإنسان يومئذ ، (لا

---

1) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب تفسير سورة القيامة، حديث رقم: ٤٩٢٧.

2) تفسير النسفي، ٤/ ٢٤٢، ٢٤٣.

وَزَرَ) أي: لا ملجأ ، (إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ) إلى حكم ربك ، (الْمُسْتَقَرُّ) الثابت ، أو كائن إلى ربك يومئذ ، وهو موضع الاستقرار[1].

(بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ) بما قدم من عمل عمله ، وبما أخر منه ، (عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ) والبصيرة هنا بمعنى الحجة المشاهدة عليه ، فلا يحتاج إلى الإنباء ، (وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ) ولو جاء بكل ما يمكن أن يعتذر به[2].

(لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ) كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقرأ القرآن فيكثر مخافة أن ينسى ، فنهي عن تحريك اللسان به متعجلًا فيه قبل جمعه[3].

(إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ) في صدرك ، (وَقُرْآنَهُ) وإثبات قراءته في لسانك، (فَإِذا قَرَأْناهُ) بلسان جبريل عليك ، (فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ) قراءته ، (ثُمَّ إِنَّ

---

١) تفسير المحرر الوجيز، ٥/ ٤٠٢ ، ٤٠٣.

٢) تفسير البيضاوي، ٥/ ٤٢١، التفسير الوسيط للأستاذ الدكتور/ سيد طنطاوي، ١٥/ ٢٠١.

٣) تفسير الطبري، ٢٣/ ٥٠٠، تفسير المحرر الوجيز، ٥/ ٤٠٢ ، ٤٠٣.

عَلَيْنا بَيانَهُ) بيان ما أشكل من معانيه[1].

(كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعاجِلَةَ) الدنيا ، (وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ) أي : تختارون الدنيا على العقبى وتعملون لها[2] .

(وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ) من النضرة التي هي الحسن والنعمة ، أي: وجوه المؤمنين مشرقة حسنة ناعمة ، (إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) أي: تنظر إلى ربها ، وهذه الآية فيها إثبات أن المؤمنين يرون الله تعالى يوم القيامة[3].

(باسِرَة) أي: شديدة الكلوحة والعُبُوس ، (تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ) أي: داهية عظيمة ، تقصِم فَقار الظهر ، (بَلغَتِ التّراقي) أي: وصلت الرّوح لأعلى الصدر ، (وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ) أي: مَنْ يُداويه ويُنجيه من الموت؟

---

١) تفسير البيضاوي ٥/ ٢٦٦.

٢) تفسير النسفي، ٤/ ٢٤٤، كلمات القرآن تفسير وبيان، ص١٢٤.

٣) تفسير الرازي، ٣٠/ ٧٣٥، تفسير القرطبي، ١٩/ ١٠٥.

(وَالْتَفَّتْ) أي: التوت ، أو التصقت ، (السَّاقُ بِالسَّاقِ) الشدة بالشدة ، وقيل: هما ساقاه إذا التفا في الكفن ، وقيل: أمر الدنيا بأمر الآخرة ؛ فكان في آخر يوم من أيام الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة، فالناس يجهزون جسده والملائكة يجهزون روحه[1].

(إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ) أي: سَوْق العباد للجزاء ، (يَتمَطَّى) أي: يَتبَختر في مِشيَتِه اختيالًا ، (أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى) أي: قارَبَك ما يُهلِكُك ، وأصله أولاك الله ما تكرهه ، (يُتْرَكَ سُدًى) أي: مُهملًا؛ فلا يُكلّف ولا يُجَازى[2].

(أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً) النطفة هي الماء القليل ، أي: ألم يك ماء قليلًا في صلب الرجل وترائب المرأة ، (علقة) العَلَقُ: الدّم الجامدُ قبل أن ييبس[3]. (فَجَعَلَ مِنْهُ) من المني الذي صار علقة قطعة دم ثم

---

١) تفسير البغوي، ٥/ ١٨٦.

٢) تفسير النسفي، ٤/ ٢٤٤، تفسير البيضاوي، ٥/ ٤٢٢.

٣) تفسير الرازي، ٣٠/ ٧٣٧، كتاب العين ، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري ، تحقيق د/ مهدي المخزومي ، وإبراهيم السامرائي ، ١/ ١٦١، ط دار ومكتبة الهلال.

مضغة ، أي: قطعة لحم، (الزَّوْجَيْنِ) النـوعين: الذكر والأنثـى[1].

في رحاب السورة الكريمة :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿١﴾ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴿٤﴾ بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ﴿٥﴾ يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّأُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ ﴿١٥﴾﴾

أقسم وأؤكد القسم بيوم القيامة– وهو الحق الثابت– وأقسم وأؤكد القسم بالنفس التي تلوم صاحبها على الذنب والتقصير، لتبعثن بعد جمع ما تفرق من عظامكم ، أيحسب الإنسان – بعد أن خلقناه من عدم– أن لن نجمع ما بلي وتفرَّق من عظامه؟ بلى نجمعها قادرين على أن نُسوي ما دق من أطراف أصابعه ، فكيف

---

١) تفسير الجلالين ، ص٧٨١ .

بما كَبُر من عظام جسمه؟[1] بل أينكر الإنسان البعث ، ويريد أن يبقى على الفجور فيما يستقبل من أيام عمره كلها؟ يسأل مستبعدًا قيام الساعة: متى يكون يوم القيامة؟، فإذا تحيَّر البصر فزعًا ودهشًا، وذهب ضوء القمر ، وقرن بين الشمس والقمر في الطلوع من المغرب ، يقول الإنسان يومئذٍ: أين الفرار من العذاب؟! ردعًا لك – أيها الإنسان – عن طلب المفر، لا ملجأ لك إلا إلى ربك ـ وحده ـ مستقر العباد من جنة أو نار، يُخْبَرُ الإنسان يومئذ بما قدمه من عمل وما أخره ، بل الإنسان على نفسه حجة واضحة ، تلزمه بما فعل أو ترك، ولو طرح معاذيره وبسطها لا يمكنه أن يتخلص منها[2].

١) لقد أثبت العلم الحديث أنه لا يمكن للبصمة أن تتطابق وتتماثل بين شخصين، حتى في التوائم المتماثلة التي أصلها من بويضة واحدة ، وهو ما يلفت القرآن الكريم الانتباه إليه في قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾ (القيامة: ٤)، حيث خص الحق (سبحانه وتعالى) البنان دون غيره بالذكر؛ كونه مميِّزًا لكل إنسان عن بني جنسه من جميع البشر. إضاءات قرآنية ، إشراف وتقديم أ.د/ محمد مختار جمعة، ص٩، ط عام ٢٠٢٣م.

٢) المنتخب في تفسير القرآن الكريم، ص ٨٦٨ ، ٨٦٩.

﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٢١﴾﴾

لا تُحَرِّكْ بالقرآن لسانك حين الوحي لتعجل بقراءته وحفظه ، إن علينا جمعه لك في صدرك ، وإثبات قراءته في لسانك ، فإذا قرأه عليك رسولنا فاتبع قراءته منصتًا لها ، ثم إن علينا بعد ذلك بيانه لك ، إذا أشكل عليك شيء منه ، ردعًا لكم عن إنكار البعث وهو حق ؛ بل أنتم تحبون الدنيا ومتاعها ، وتتركون الآخرة ونعيمها[1].

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾ كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴿٣٥﴾﴾

وجوه يومئذٍ حسنة ناعمة ، إلى ربها ناظرة دون تحديد بصفة ،

١) المنتخب في تفسير القرآن الكريم ، ص ٨٦٩.

أو جهـة ، أو مسافة ، ووجوه يومئذٍ كالحة شديدة العبوس، تتوقع أن يفعل بها ما هو في شدته داهية تقصم فقرات الظهر، ردعًا لكم عن حب الدنيا التي تفارقونها إذا بلغت الروح عظام النحر، وقال الحاضرون بعضهم لبعض : هل من راق يرقيه مما به؟ وأيقن المحتضر أن الذي نزل به هو فراق الدنيا المحبوبة ، وبلغت به الشدة أقصاها ، والْتَوَتْ إحدى الساقين على الأخرى عند نزع الروح ، إلى ربك يومئذٍ مساق العباد، إما إلى الجنة وإما إلى النار غير أن الإنسان أنكر البعث، فلا صدَّق بالرسول (صلى الله عليه وسلم) والقرآن، ولا أدَّى لله فرائض الصلوات ، ولكن كذَّب القرآن، فأعرض عن الإيمان، ثم ذهب إلى أهله يمد ظهره متبخترًا، هلاك لك، أيها المكذب، فهلاك، ثم هلاك دائم لك، فهلاك[1].

﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾

١) المنتخب في تفسير القرآن الكريم، ص ٨٦٩، ٨٧٠.

أيحسب هذا الإنسان المنكر للبعث أن يُترك مُهملًا يرتع في حياته ، ثم يموت ولا يبعث فيحاسب على عمله؟! ألم يك الإنسان نطفة من مَنِيٍّ يقدر تكوينه في الرحم ، ثم صار قطعة دم جامد، فخلقه الله، فسواه في أحسن تقويم؟ فجعل منه الصنفين الذكر والأنثى، أليس ذلك المبدع الفعَّال لهذه الأشياء بقادر على أن يُحْيي الموتى بعد جمع عظامهم؟[1].

من مقاصد السورة الكريمة:

١- بيان أن السورة الكريمة زاخرة بالحديث عن أهوال يوم القيامة، وعن أحوال الناس فيه[2].

٢- توضيح مزية النفس اللوامة؛ التي تلوم صاحبها على ترك المبادرة إلى أفعال الخير ، والبعد عن أفعال الشر[3].

٣- بيان أن هذا القرآن تذكرة عظيمة ؛ لما أودعه الله فيه من

---

١) المنتخب في تفسير القرآن الكريم، ص٨٧٠.

٢) التفسير الوسيط للدكتور/ سيد طنطاوي، ١٥/ ١٩٥.

٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، ٨/ ٢٤٩.

وضـوح المعـاني ، وعذوبـة الألفاظ ، وجـلالـة النظم ، ورونق السبك ، وعلو المقاصد[1].

٤ – التأكيد على إنكار العجلة، والحث على الأناة والتؤدة[2].

٥–الزجر عن إيثار منافع الحياة العاجلة على ما أعد لأهل الخير من نعيم الآخرة[3].

٦– التأكيد على قضية بعث الخلائق ، وحتمية وقوعه ، وهو أهون عليه سبحانه وتعالى[4].

❊ ❊ ❊

---

١) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، ٣/ ١٣٩ .

٢) تفسير الزمخشري، ٤/ ٦٦١ .

٣) التحرير والتنوير، ٢٩/ ٣٣٧.

٤) التفسير الوسيط للدكتور سيد طنطاوي، ١٥/ ١٩٥ بتصرف.

سورة الإنسان

(مدنية وآياتها إحدى وثلاثون آية)

سبب النزول:

عن عكرمة قال: دخل عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) على النبي (صلى الله عليه وسلم) وهو راقد على حصير من جريد ، قد أثر في جنبه ؛ فبكى عمر (رضي الله عنه) فقال له: ما يبكيك ، قال: ذكرت كسرى وملكه ، وهرمز وملكه ، وصاحب الحبشة وملكه، وأنت رسول الله (صلى الله عليك وسلم) على حصير من جريد، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): أما ترضى أن لهم الدنيا ولنا الآخرة ، فأنزل الله: (وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا)[1].

وفي قوله تعالى: (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا)، عن ابن عباس (رضي الله عنهما) : أن عليَّ بن أبي طالب (رضي الله عنه) أجّر نفسه يسقي نخلًا بشيء من شعير ليلة ، حتى

---

١) لباب النقول، ص٢٠٧، ٢٠٨.

أصبح وقبض الشعير وطحن ثلثه ، فجعلوا منه شيئًا ليأكلوه ، يقال له: الخزيرة [1]، فلما تم إنضاجه أتى مسكين فأخرجوا إليه الطعام، ثم عمل الثلث الثاني ، فلما تم إنضاجه أتى يتيم فسأل فأطعموه ، ثم عمل الثلث الباقي ، فلما تم إنضاجه أتى أسير من المشركين فأطعموه ، وطووا يومهم ذلك ، فأنزلت فيه هذه الآيات[2].

وعن قتادة [3]، أنه بلغه أن أبا جهل قال: لئن رأيت محمدًا يصلي لأطأن عنقه ، فأنزل الله تعالى:{وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا}[4].

---

١) لحم يقطع قطع صغير ، ويتم طهيه على نار هادئة.

٢) أسباب النزول للواحدي ، ص٤٧٠ ، التبصرة ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ، ١/ ٤٥٤، ط دار الكتب العلمية ، لبنان، ١٤٠٦ هـ- ١٩٨٦م.

٣) قتادة : هوقتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز السدوسي، وقيل: قتادة بن دعامة بن عكابة، حافظ العصر، قدوة المفسرين والمحدثين، له أقوال زاخرة في تفسير آيات القرآن الكريم، وتوفي سنة ثماني عشرة ومائة. سير أعلام النبلاء، ٥/ ٢٦٩.

٤) تفسير الطبري ، ٢٤/ ١١٥، أسباب النزول للواحدي، ص٤٧. وعزاه السيوطي لعبد بن حميد وابن المنذر في كتابه: الدر المنثور: ٨ / ٣٧٨ .

معاني المفردات :

(هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ) استفهام تقريري بمعنى قد[1]، (حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ) مدة محدودة من الزمان[2] .

(لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا) أي: كان شيئًا منسيًّا غير مذكور، (أَمْشَاجٍ) أخلاط ، والمراد : مجموع مني الرجل والمرأة ، (نَبْتَلِيهِ) نختبره ، (فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا) أي: فجعلناه ذا سمع يسمع به ، وذا بصر يبصر به ؛ ليتمكن من مشاهدة الدلائل واستماع الآيات[3]، والسمع والبصر كنايتان عن الفهم والتمييز [4].

(إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ) بيّنا له طريق الهدى ، (إِمَّا شَاكِرًا) مؤمنًا شاكرًا، (وَإِمَّا كَفُورًا) جاحدًا لا يشكر نعم الله عليه[5] .

---

١) اتفق أهل العلم على أن (هل) ها هنا ـ وكذا في قوله تعالى: (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ) ـ بمعنى: قد. تفسير الرازي، ٣٠/ ٧٢٩.

٢) تفسير الرازي، ٣٠/ ٧٢٩.

٣) تفسير البيضاوي، ٥/ ٤٢٤.

٤) تفسير الطبري، ٢٣/ ٥٣٧، تفسير الرازي، ٣٠/ ٧٤١.

٥) تفسير الطبري، ١٧/ ٤٣٠.

(إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَـافِرِينَ) الاعتـداد هو إعـداد الشيء حتى يكـون عتيدًا حاضرًا متى احتيج إليه ، (سَلَاسِلَ) السلاسل تشد بها أرجلهم ، (وَأَغْلَاَلًا) الأغلال تشد بهـا أيديهم إلى رقابهـم ، (وَسَعِيرًا) السعير وهي النار التي تسعر عليهم[1].

(كَانَ مِزَاجُهَا) ما تُمْزَج الكأس به وتُخْلَط ، (كَافُورًا) ماء كالكافور في أحسن أوصافه ، (مستطيرًا) منتشرًا ، (عَبُوسًا) كريه المنظر لشدَّته، (قَمْطَرِيرًا) صعبًا شديدًا[2]، (وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا) نضرة في الوجه ، وسرورًا في القلب[3].

(شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا) أي : لا يمر عليهـم فيهـا هواء معتـدل ، لا حار مهلك ، ولا بارد مؤذ ، (وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا) أي: سهلة التناول- لا تمتنع على قطافها- كيف شاءوا[4].

---

١) تفسير الرازي، ٣٠/ ٧٤٣.

٢) تفسير النسفي، ٤/ ٢٤٥، كلمات القرآن تفسير وبيان، ص١٢٤، ١٢٥.

٣) تفسير الرازي، ٣٠/ ٧٤١.

٤) تفسير البيضاوي ، ٥/ ٤٢٧، والتذليل أن تطيب الثمرة فتتدلى وتنعكس ، نحو =

(بِـآنِيَةٍ) الآنية جمع إناء، وهو وعاء الماء ، (قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ) أي: مخلوقة من فضة ، يُرى ما فيها من الشراب ، (قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا) أي: أهل الجنة قدروها على أشكال مخصوصة ، أو السقاة جعلوها على قدر ريّ شاربها[1].

(عَيْنًا فِيهَا) أي : في الجنة ، وسميت العين زنجبيلًا لطعم الزنجبيـل فيهـا ، (تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا) لسلاسة انحدارها ، وسهولة مساغها ، (وِلْدَانٌ) غلمـان ينشئهم الله لخدمة المؤمنين ، (مُّخَلَّدُونَ) لا يموتون[2].

(لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا) اللؤلؤ المُفرّق في الحُسْن والصّفاء[3]، (وَمُلْكًا كَبِيرًا) واسعًا ، وقيل: ملك لا يعقبه هلاك ، (عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ

= الأرض، فإن كان الإنسان قائمًا تناول الثمر دون كلفة ، وإن كان قاعدًا كذلك ، وإن كان مضطجعًا كذلك. المحرر الوجيز، ٥/ ٤١١، ٤١٢.

١) تفسير النسفي، ٤/ ٢٤٧.

٢) تفسير البيضاوي ٥/ ٤٢٨ ، ٤٢٩، تفسير النسفي، ٤/ ٢٤٧.

٣) كلمات القرآن تفسير وبيان، ص١٢٥.

خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ) يعلوهم ثياب الحرير الخضر، ما رق منها، وما غلظ ، (وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ) فحُلي أهل الجنة تختلف باختلاف أعمالهم ؛ فلعله تعالى يفيض عليهم جزاءً لما عملوه بأيديهم حليًّا وأنوارًا ، تتفاوت الذهب والفضة ، (وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا) شرابًا بالغًا نهاية الطهر ، (وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا) محمودًا مقبولًا مرضيًّا عندنا[1].

(الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا) مفـرَّقًا منجَّمًا لحكمـة اقتضتـه ، وتقويـة لنفس محمد (صلى الله عليه وسلم)[2].

(وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا) أي: كل واحد من مرتكب الإثم ، ومن الغالي في الكفر ، (يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ) الدنيا ، (وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ) أي: أمامهم ، أو خلف ظهورهم، (يَوْمًا ثَقِيلًا) أي يوم القيامة[3].

---

١) تفسير النسفي ٤/ ٢٤٧، التفسير الوسيط للدكتور/ سيد طنطاوي، ١٥/ ٢٢٥.

٢) المحرر الوجيز، ٥/ ٤١٣، تفسير الجلالين، ص٧٨٤ .

٣) تفسير الزمخشري، ٤/ ٦٧٥، المحرر الوجيز، ٥/ ٤١٣.

(وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ) أعضاءهـم ومفاصلهـم ، (يُدْخِلُ مَنْ يَشَـاءُ فِي رَحْمَتِـهِ)جنتـه، وهم المؤمنون[1] .

في رحاب السورة الكريمة :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ۝١ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ۝٢ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا ۝٤﴾

قد مضى على الإنسان حين من الزمان قبل أن ينفخ فيه الروح، لم يكن شيئًا يُذكر باسمه ، ولا يعرف ما يُراد منه ، إنا خلقنا الإنسان من نطفة ذات عناصر شتى ، مختبرين له بالتكاليف فيما بعد ، فجعلناه ذا سمع وذا بصر، ليسمع الآيات ويرى الدلائل ، إنّا بينا له طريق الهدى: إما مؤمنًا شاكرًا ، وإما كافرًا جاحدًا ، إنا أعددنا للكافـرين سلاسل لأرجلهم ، وأغلالًا لأيديهم وأعناقهـم ، ونارًا موقـدةً[2].

---

١) تفسير الطبري، ٢٤/ ١١٩، تفسير الجلالين، ٧٨٤.

٢) المنتخب في تفسير القرآن الكريم، ص ٨٧١.

﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝٦ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ۝٧ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝٩ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ۝١٠ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ۝١١ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ۝١٢﴾

إن الصادقين في إيمانهم يشربون من خمر تمزج بماء كافور ، عينًا يشرب منها عباد الله يجرونها حيث شاءوا إجراء سهلًا ، يوفون بما أوجبوا على أنفسهم ، ويخافون يومًا عظيمًا كان ضرره البالغ فاشيًا منتشرًا كل الانتشار ، ويُطعمون الطعام ، مع حبهم له ، وحاجتهم إليه ، فقيرًا عاجزًا عن الكسب ، وصغيرًا فقد أباه ، ومأسورًا لا يملك شيئًا ، ويقولون في أنفسهم: إنما نطعمكم لطلب ثواب الله، لا نريد منكم عوضًا أو هدية ، ولا نريد منكم ثناء ، إنا نخاف من ربنا يومًا اشتد عبوس مَن فيه ، وقطَّبوا وجوههم وجباههم ، فصانهم الله من شدائد ذلك اليوم ، وأعطاهم بدل عبوس الفجَّار

حسنًا في وجوههم ، وبهجة وفرحًا في قلوبهم ، وجزاهم بصبرهم جنة ملكها هنيء ، وملبسها حرير ناعم الملمس[1].

﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۖ لَا يَرَوۡنَ فِيهَا شَمۡسٗا وَلَا زَمۡهَرِيرٗا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيۡهِمۡ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتۡ قُطُوفُهَا تَذۡلِيلٗا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيۡهِم بِـَٔانِيَةٖ مِّن فِضَّةٖ وَأَكۡوَابٖ كَانَتۡ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَاْ مِن فِضَّةٖ قَدَّرُوهَا تَقۡدِيرٗا ﴿١٦﴾ وَيُسۡقَوۡنَ فِيهَا كَأۡسٗا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيۡنٗا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلۡسَبِيلٗا ﴿١٨﴾ ۞وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيۡتَهُمۡ حَسِبۡتَهُمۡ لُؤۡلُؤٗا مَّنثُورٗا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيۡتَ ثَمَّ رَأَيۡتَ نَعِيمٗا وَمُلۡكٗا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَٰلِيَهُمۡ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضۡرٞ وَإِسۡتَبۡرَقٞۖ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٖ وَسَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ شَرَابٗا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمۡ جَزَآءٗ وَكَانَ سَعۡيُكُم مَّشۡكُورًا ﴿٢٢﴾﴾

متكئين في الجنة على السُّرر، لا يجدون فيها حر شمس، ولا شدة برد، والجنة وارفة عليهم ظلال أشجارها، وسُهِّلَ لهم أخذ ثمارها تسهيلًا، ويطوف عليهم خدمهم بأوعية شراب من فضة، وبأكواب كوِّنت قوارير شفافة ، قوارير مصنوعة من فضة، قدَّرها الساقون تقديرًا على وفاق ما يشتهي الشاربون ، ويُسقى الأبرار في الجنة خمرًا

١) المنتخب في تفسير القرآن الكريم، ص ٨٧١ ، ٨٧٢.

ما تمزج به يشبه الزنجبيل في الطعم ، عينًا في الجنة تسمى لسلامة شرابها وسهولة مساغه وطيبه ، سلسبيلًا ، ويطوف عليهم ، للبهجة والسرور ، غلمان دائمون على حالهم ، إذا أبصرتهم عند طوافهم بخفة ونشاط، تحسبهم لحسنهم وصفاء ألوانهم لؤلؤًا منثورًا حولك مضيئًا ، وإذا أبصرت أي مكان في الجنة رأيت فيه نعيمًا عظيمًا، وملكًا واسعًا ، يعلوهم ثياب من حرير رقيق خضر ، وثياب من حرير غليظ ، وجُعِلَتْ حُليهم التي في أيديهم أساور من فضة ، وسقاهم ربهم شرابًا آخر ، طهورًا لا رجس فيه ولا دنس ، إن هذا النعيم أُعِدَّ لكم جزاء لأعمالكم ، وكان سعيكم في الدنيا محمودًا عند الله مرضيًّا ومقبولًا[1].

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا

١) المنتخب في تفسير القرآن الكريم، ص٨٧٢ ، ٨٧٣.

﴿شِئۡنَا بَدَّلۡنَآ أَمۡثَٰلَهُمۡ تَبۡدِيلًا ٢٨ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ٢٩ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ٣٠ يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا ٣١﴾

إنا برحمتنا وحكمتنا ، نزَّلنا عليك القرآن على وجه يسكن به فؤادك، ويدوم به حفظك، فلا تنساه أبدًا، فاصبر لحكم ربك على تكذيبهم وعنادهم وجحودهم، وابتلائك بأذاهم، ولا تُطع من المشركين من هو ذو إثم، أو مستغرقًا في الكفر، ودُم على ذكر ربك، فصل الفجر بكرة، والظهر والعصر أصيلًا، ومن الليل فصلِّ له المغرب والعشاء، وتهجد زمنًا طويلًا من الليل، إن هؤلاء الكفرة يُحبون الدنيا ويؤثرونها على الآخرة، ويتركون خلف ظهورهم يومًا ثقيلًا كَرْبه، شديدًا هوله، فلم يعملوا ما ينجيهم من ذلك، نحن خلقناهم وأحكمنا خلقهم، وإذا شئنا أهلكناهم وَبَدَّلْنا أمثالهم ممن يطيع الله تبديلًا، إن هذه السورة عظة للعالمين، فمن شاء اتخذ بالإيمان والتقوى إلى ربه طريقًا يوصله إلى مغفرته وجنته، وما

تشاءون شيئًا من الأشياء إلا إذا شاءه الله ، إن الله كان عليمًا بأحوالكم حكيمًا فيما يشاء ويختار ، يُدخل من يشاء في جنته ، فدخولها بفضله ورحمته ، وأعد للظالمين عذابًا أليمًا[1].

من مقاصد السورة الكريمة :

١ - التذكير بأن كل إنسان كُوِّن بعد أن لم يكن شيئًا ، فكيف يرتاب في بعثه؟!

٢-بيان القسط في المعاملة مع الآخرين ، وأن إحساننا إليهم للخوف من شدة ذلك اليوم ، وطلبًا لعفوه سبحانه[2].

٣- الإشارة إلى أن الأبرار في جنات ، وهم الذين سمت همّتهم عن المستحقرات ، وظهرت في قلوبهم ينابيع الحكمة[3].

٤- بينت السورة الكريمة أن الطريق الواضح ، هو طريق الخير الذي من حاد عنه ضل ، وجعل سبحانه وتعالى للإنسان من البصيرة التي يميز بها بين الصادق والكاذب ، والحق والباطل[4].

---

١) المنتخب في تفسير القرآن الكريم ، ص٨٧٣.

٢) تفسير الزمخشري ، ٤/ ٦٦٨، ٦٦٩ بتصرف.

٣) تفسير القشيري ، ٣/ ٦٦١.

٤) نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور ، ٨/ ٢٦٥.

٥- التأكيد على معنى اختصاص الله تعالى بالتنزيل؛ ليتقرّر في نفس رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنه إذا كان الحق سبحانه هو المنزل، لم يكن تنزيله على أي وجه نزل إلا حكمة وصوابًا، كأنه قيل: ما نزّل عليك القرآن تنزيلًا مفرقًا منجمًا إلّا أنا لا غيْري، وقد عرفتني حكيمًا فاعلًا لكل ما أفعله بدواعي الحكمة[1].

٦- التأكيد على أن الإنسان يُثاب على المشيئة الصالحة، ويؤجر على قصد الخير، كما في حديث: "إنَّما الأعْمالُ بالنِّياتِ"[2].

* * *

١) تفسير الزمخشري، ٤/ ٦٧٤.

٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب صديق بن حسن بن علي القنوجي البخاري ١٤/ ٤٨١، ط المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٢هـ، والحديث عن سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: «إنما الأعمال بالنية، وإنما لامرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها، فهجرته إلى ما هاجر إليه» متفق عليه: صحيح البخاري ، كتاب الأيمان والنذور، باب النية في الأيمان، حديث رقم: ٦٦٨٩ ، واللفظ له، وصحيح مسلم، كتاب الإمارة ، باب قوله (صلى الله عليه وسلم): "إنما الأعمال بالنية" ، وأنه يدخل فيه الغزو وغيره من الأعمال، حديث رقم: ١٩٠٧ .

سورة المرسلات

(مكية وآياتها خمسون آية)

معاني المفردات :

(والْمُرْسَلاتِ) الرسل إلى الناس من الأنبياء(عليهم السلام)، وقيل: الملائكة المرسلة بالوحي، وبالتعاقب على العباد طرفي النهار، وقيل: الْمُرْسَلاتِ، الرياح، وقيل: آيات القرآن الكريم المرسلة بكل عرف إلى محمد(صلى الله عليه وسلم)، (عُرْفًا) على القول الأول عُرْفًا من الله، وإفضالًا على عباده ببعثة الرسل ، وعلى القول الثاني والثالث (عُرْفًا) أي: متتابعة ، (فَالْعاصِفاتِ عَصْفًا) العاصفات من الريح الشديدة العاصفة للشجر وغيره ، وعلى القول بأنها آيات القرآن الكريم ، أي: فعصفن سائر الكتب والأديان والشرائع وهيمن عليها ، ونشرن آثار الهدى للعالمين ، (وَالنَّاشِرَاتِ) هي الملائكة، تنشر صحف العباد بالأعمال ، أو طوائف الملائكة التي تباشر إخراج الموتى من قبورهم للبعث ، أو هي الرياح تنشر رحمة الله ومطره ، (فَالْفَارِقَاتِ) هي الملائكة تفرق بين الحق والباطل

والحلال والحرام ، أو هي آيات القرآن الكريم ، أي: فرقن بين الحق والباطل ، (فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا) أي: الرسل ، أو الملائكة تلقي من عند الله تعالى ، أو بأمره إلى الرسل ، و(الذِّكْر): الكتب المنزلة ، والشرائع[1] ، (عُذْرًا أَوْ نُذْرًا) لإزالة أعذار المعتذرين عن الإيمان، ولإنذار الكافرين والفاسقين؛ حتى يقلعوا عن كفرهم وفسوقهم[2].

(لَوَاقِعٌ) أي: لكائن، والمراد: البعث،(فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ) أزيل ضوؤها، (وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ) شُقت وفتحت؛ فكانت أبوابًا، (وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ) تفرقت، وقيل: صارت هباءً[3].

(وإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ) عُين لهم الوقت الذي يحضرون فيه للشهادة على أممهم، (لأيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ) أي: يقال: لأي يوم أُخِّرت، ويجوز على أنه بمعنى أعلمت[4].

---

١) المحرر الوجيز، ٥/ ٤١٥-٤١٦، تفسير البيضاوي ٥/ ٤٣٢ .

٢) التفسير الوسيط للدكتور/ سيد طنطاوي، ١٥/ ٢٣٤.

٣) المحرر الوجيز، ٥/ ٤١٥-٤١٦، كلمات القرآن تفسير وبيان، ص١٢٥.

٤) تفسير البيضاوي، ٣/ ٤٣٢.

(وَيْل يَوْمَـئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ) أي: الويل والهلاك لمن يكذب هؤلاء الأنبياء الذين يرشدونهم إلى هذه المصالح الجامعة بين خيرات الدنيا والآخرة ، (أَلَمْ نُهْلِكِ الأَوَّلِينَ) الأمم الخالية المكذبة، (ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ) ثم نفعل بأمثالهم من الآخرين مثل ما فعلنا بالأولين [1].

(مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ) ضعيف، وهو النطفة ، (فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ) مقر يتمكن فيه ، وهو الرحم (إِلَى قَدَرٍ مَّعْلُومٍ) مؤخر إلى مقدار من الوقت معلوم ، قد علمه الله تعالى وحكم به ، وهو تسعة أشهر، أو ما دونها ، أو ما فوقها [2]، (فَقَدَرْنَا) فقدرنا ذلك تقديرًا ، (كِفَاتًا) كفَتَ الشّيءَ أي : ضمَّـه وجمعـه ، (رَوَاسِيَ) جبـال ثوابت ، (شَـامِخَـاتٍ) عاليات ، (مَّآءً فُرَاتًا) عذبًا [3].

(انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلاثِ شُعَبٍ) إلى ظلّ دخـان ذي ثـلاث شعب ، وذلك أنه يرتفع من وقودها الدخان ؛ فإذا تصاعد تفرّق

---

١) تفسير الرازي، ٣٠/ ٧٨١، تفسير النسفي، ٤/ ٢٤٩، ٢٥٠.

٢) تفسير القرطبي، ١٤/ ٩٠.

٣) تفسير الطبري، ٢٣/ ٥٩٨، تفسير النسفي، ٤/ ٢٤٩، ٢٥٠.

شعبًا ثلاثًا[1]، (لا ظَلِيلٍ) لا هو يظلهم من حرّها ، (وَلا يُغْنِي مِنَ اللهبِ) أي: لا يدفع من لهب جهنم شيئًا ، واللهب ما يعلو على النار إذ اضطرمت ، فذلك الظل لا يمنع حر الشمس[2].

(إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ) الشرر: هو ما تطاير من النار في كل جهة ، (كَالْقَصْرِ) هو البناء العالي كالحصون والمدائن في العِظَم ، (جِمَالَتٌ) جمع جمل ، وهو الشيء العظيم المجموع بعضه إلى بعض[3]، والمراد كثرة تلك الشرارات ، وتتابعها[4].

(هَـذَا يَوْمُ الْفَصْلِ) أي الفاصل بين المحق والمبطل ، والمحسن والمسيء بالجزاء ، (فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ) حيلة في دفع العذاب، (فَكِيدُونِ) فاحتالوا بتخليص أنفسكم من العذاب[5].

---

١) المحرر الوجيز، ٥/ ٤١٩.

٢) تفسير الرازي، ٣٠/ ٧٧٤، تفسير القرطبي، ١٩/ ١٦٢، ١٦٣.

٣) تفسير القرطبي، ١٩ / ١٦٢.

٤) تفسير الرازي، ٣٠/ ٧٧٦.

٥) المحرر الوجيز، ٥/ ٤٢٢، تفسير النسفي، ٤/ ٢٥٠.

(وإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا) اخشعوا لله ، وتواضعوا إليه بقبـول وحيـه واتباع دينه ، ودعوا هذا الاستكبار ، (لاَ يَرْكَعُونَ) لا يخشعون ولا يقبلون ذلك ، ويصرون على استكبارهم ، (فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ) بعد القرآن ، (يُؤْمِنُونَ) أي: إن لم يؤمنـوا بالقـرآن- مع أنه آية مبصرة ومعجزة باهرة- فبأي كتاب بعده يؤمنون[1].

في رحاب السورة الكريمة :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا ﴿٣﴾ فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا ﴿٤﴾ فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾﴾

أقسم بالآيات المرسلة على لسان جبريل (عليه السلام) إلى محمد (صلى الله عليه وسلم) للعرف والخير، فالآيات القاهرات لسائر الأديان الباطلة تنسفها نسفًا ، وبالآيات الناشرات للحكمة والهداية في قلوب العالمين نشرًا عظيمًا.

---

١) تفسير النسفي، ٣/ ٥٨٨.

فالفارقات بين الحق والباطل فرقًا واضحًا ، فالملقيات على الناس تذكرة تنفعهم إعذارًا لهم وإنذارًا ، فلا تكون لهم حُجة ؛ إن الذي توعدونه من مجيء يوم القيامة لنازل لا ريب فيه[1].

﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ ۝٨ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ ۝٩ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ نُسِفَتۡ ۝١٠ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ ۝١١ لِأَيِّ يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ ۝١٢ لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ ۝١٣ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ۝١٤ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ۝١٥﴾

فإذا النجوم مُحقت ذواتها ، وإذا السماء شُقَّت، وإذا الجبال فُتِّتت ونسفتها الرياح نسفًا ، وإذا الرسل عُيِّن لهم الوقت الذي يحضرون فيه للشهادة على الأمم ، لأي يوم أُخِّرت هذه الأمور العظيمة؟ ليوم يكون فيه الفصل بين الخلائق ، وما أعلمك ما شأن يوم الفصل؟ هلاك دائم يومئذٍ للمكذبين بما أوعدهم به الرسل[2].

﴿أَلَمۡ نُهۡلِكِ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝١٦ ثُمَّ نُتۡبِعُهُمُ ٱلۡأٓخِرِينَ ۝١٧ كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ ۝١٨ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ۝١٩ أَلَمۡ نَخۡلُقكُّم مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ۝٢٠

---

١) المنتخب في تفسير القرآن الكريم، ص٨٧٤.

٢) المصدر السابق ، ص ٨٧٤.

فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾
وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾
وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾ ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى
ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ
كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ هَٰذَا يَوْمُ
لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَٰذَا
يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ۖ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ
يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾

ألم نُهلك الأولين من الأمم المكذبة ، ثم نُتبع الأولين الآخرين في الهلاك ، مثل ذلك الفعل نفعل بكل من أجرم وكفر بالله ، هلاك يومئذٍ للمكذبين بما أوعدناهم ، ألم نخلقكم من ماء -ضعيف- وهو النطفة ، فجعلنا هذا الماء في مقر يتمكن فيه ، فيتم خلقه وتصويره مؤخرًا إلى وقت قد علمه الله ، فقدرنا على خلقه وتصويره وإخراجه ، فنعم المقدِّرُون الخالقون له نحن ، وويل يومئذٍ

للمكذبين بنعمة الخلق والتقدير ، ألم نجعل الأرض ضامَّة على ظهرها أحياء لا يُعدُّون ، وفي بطنها أمواتٌ لا يحصرون ، وجعلنا فيها جبالًا ثوابت عاليات ، وأسقيناكم ماء عذبًا سائغًا؟ هلاك يومئذٍ للمكذبين بهذه النعمة ، يُقال للكافرين يوم الفصل: سيروا إلى النار التي كنتم بها تكذِّبون ، سيروا إلى حرارة دخان من جهنم يتشعب لعِظمه ثلاث شعب ، لا مظل من حر ذلك اليوم ، ولا يغني ذلك الظل من حر اللهب شيئًا ، إن النار ترمي بها تطاير منها كالقَصْرِ في العِظم ، كأن الشرر جِمَالٌ سودٌ تضرب إلى الصفرة، هلاك يومئذ للمكذبين بأن هذه صفتها ، هذا الذي قُصَّ عليكم إنه واقع يوم لا ينطقون بشيء ينفعهم ، ولا يكون لهم إذْن في النطق، ولا يصدر منهم اعتذار؛ لأنه لا عذر لهم ، هلاك يومئذٍ للمكذبين بهذا اليوم ، هذا يوم الفصل بين المحق والمبطل بجزاء كلٍّ بما يستحقه ، جمعناكم يا مكذبي محمد (صلى الله عليه وسلم) والأولين المكذبين مثلكم ، فإن كان لكم حيلة في دفع هذا العذاب عنكم

فاحتالوا ، واحضروا وتخلصوا من عذابي هلاك يومئذٍ للمكذبين بوعيد الله[1].

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾

إن المتقين من عذاب الله في ظلال وارفة، وعيون جارية، وفواكه مما يستطيبون، مقولًا لهم ، تحية وتكريمًا: كلوا واشربوا أكلًا وشربًا هنيئًا بما كنتم تعملون في الدنيا من الصالحات ، إنا نجزي المحسنين بهذا الجزاء العظيم ، وهلاك يومئذٍ للمكذبين بالجنة ، ويُقال للكافرين: كلوا وتمتعوا متاعًا ليس له بقاء ، إنكم مجرمون بإشراككم بالله ، هلاك يومئذٍ للمكذبين بالنعم ، وإذا قيل لهم: صلوا لله ، واخشعوا ، لا يخشعون ولا يصلُّون ، بل يُصرُّون على

١) المنتخب في تفسير القرآن الكريم، ص ٨٧٤ ، ٨٧٥.

استكبارهم ، هلاك يومئذٍ للمكذبين بأوامر الله ونواهيه ، فبأي حديث بعد القرآن يؤمنون إن لم يؤمنوا بالقرآن ، مع أنـه معجزة من السماء[1].

من مقاصد السورة الكريمة:

١-إيضاح إثابة الشاكـرين بالنعيم ، وإصابة الكافـرين بالعـذاب في يوم الفصل بعد جمع الأجساد ، وبعث العباد ، وبعد طي هذا الوجود ، وتغيير العالم المشهود بما له سبحانه من القدرة المطلقة[2].

٢- التأكيد على مصير المكذبين الأليم بقوله : ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ وكررت هذه الآية في هذه السورة عشر مرات[3]؛ لأنه قسم الويل بينهم على قدر تكذيبهم ؛ فإن لكل مكـذب بشيء

١) المنتخب في تفسير القرآن الكريم، ص ٨٧٥ ، ٨٧٦.

٢) مصاعد النظر للبقاعي، ٣/ ١٤٧ .

٣) قال الكرخي: التكرار في مقام الترغيب والترهيب مستحسن ، لا سيما إذا تغيرت الآيات السابقة على المرات المكررة كما هاهنا. (فتح البيان في مقاصد القرآن،١٥/ ١٤) .

عـذابًا غير تكذيبه بشيء آخر، ورُبَّ شـيء كذب به أعظم جرمًا من التكذيب بغيره، فيقسم له من الويل على قدر ذلك التكذيب[1].

٣- بيان عذاب الكافرين بما تشيب من هوله الولدان ، ووصف نعيـم المتقـين ومـا يلقونه من الكرامة في جنات النعيم ، ويتخلل ذلك وصف خلق الإنسان والأرض والجبال ، وبيان عظمة الخالق وكمال قدرته[2].

٤- التأكيد على وجوب الخشوع لله تعالى والتواضع له بقبول وحيه واتباع دينه ، وطرح الاستكبار[3].

٥- التنبيه على أن متاع الدنيا وزمانه قليل ؛ لأنه زائل مع قصر مدته في مقابلة مدة الآخرة ، وذلك إلى منتهى الآجال[4].

---

١) فتح البيان في مقاصد القرآن ، ١٥/ ١٤.

٢) تفسير المراغي، ٢٩/ ١٩١.

٣) راجع/ تفسير الزمخشري، ٤/ ٦٨٢، ٦٨٣.

٤) فتح البيان في مقاصد القرآن،١٥/ ٢٢.

٦- الإشارة إلى عظمة القرآن الكريم ، فإن لم يصدقوا به ، فبأي كلام يصدقون ؛ فلا حديث أصدق منه ، ولا دعوة أبلغ من دعوة النبي (صلّى الله عليه وسلم)[1].

❊ ❊ ❊

١) تفسير السمرقندي، ٣/ ٥٣٥.

فهرس الموضوعات

❊ ❊ ❊



الناشر / المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.
رقم الإيداع :   /
الترقيم الدولي: